الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

فن الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
أبو يعلى الزواوي أنموذجاً

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: الدراسات الجزائرية في اللغة والأدب العربي

إعداد الطالبين:

بلقاسم موساوي

سعيد جعفري

إشراف الدكتور:

أحمد جعفري

السنة الجامعية:

(1433/ 1434هـ)

(2012/ 2013 م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى من قال الله تعالى فيهما:﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾.

إلى منبع العطف و الحنان و الحب و العطاء

إلى قرة عيني و نفحة حياتي وزهرة حلمي

– أمـي الغالية –

إلى منبع فخري واعتزازي و تقديري، إلى من دفعني

إلى اختيار سبيل العلم ووجهني أكثر مما يملك

– أبـي العزيز – (حفظكما الله ورعاكما)

إلى الإخوة والأخوات إلى كل أفراد عائلتي كبيراً وصغيراً

كل واحد باسمه، وأخص بالذكر: أيوب وأميمة ومصعب.

إلى من رافقوني في مشواري العلمي و قاسموني حلاوة الحياة

ومرِّها: إلى من جمعتني بهم علاقة الصداقة .

إلى كل من سقط سهواً من مذكرتي و لم تنساه ذاكرتي.

سعيـــد

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل إلى التي حملتني وهناً على وهن، إلى روضة الحب والحنان، زهرة الآمال والاطمئنان

أمّـي العزيــزة

إلى والدي الذي ربّاني، وعمل بجهد كبير لكي يرعاني، والذي طالما قدّم لي النّصيحة، وغرس في الأدب والخلق الجميل وحسن المعاملة، وتحمّل العناء كي أتعلّم في أحسن الظروف.

إلى كلّ أفراد عائلتي كل واحد باسمه ، وإلى كل أصدقائي وأحبّائي الذين استأنس بهم قلبي.

إلى أساتذتي ومعلميّ أهدي هذا العمل.

بلقاسم

الشكر لله تعالى أولاً على منّه وفضله لإتمام هذا العمل، مصداقاً لقول الحق تعالى:﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ولقوله صلى الله عليه وسلم:"لا يشكر الله من لا يشكر الناس".

من هذا المنطلق نتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أسهم في إنجاز هذا البحث وإخراجه من قريب أو بعيد.

ونتوجّه بالشكر الخالص إلى أستاذنا الفاضل الدكتور "أحمد جعفري" على جهوده ونصائحه لنا جزاه الله عنا كل خير. وكذلك نشكر كل الأساتذة، لمجهوداتهم المبذولة في سبيل إنجاح وتوجيه كافة الطلبة، دون أن ننسى زملاءنا في الصف لتوجيهاتهم وإرشاداتهم لنا في مشوارنا الجامعي، وبالخصوص: بشير بحاج وعبد الله عبد الكريم والطالب عبد الفتاح كرومي، والأخ قادة عليوات.

بلقاسم وسعيد

مقدمـــــــــة

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤاً أحد، والصلاة والسلام على أشرف خير خلق الله أجمعين، مبلغ الرسالة ومؤدي الأمانة، نصح الله به الأمة، وأرسله رحمة للعالمين، ورضي عن صحابة رسول الله الغر الميامين، ومن اتبع نهجهم وسار على دربهم إلى يوم الدين.

لقد شرف الله العربية بأن جعلها لغة لكتابه العزيز، وأعطاها المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة والمقام الأعلى، فاختلفت عن اللغات الأخرى، واستولت على الريادة في كل الجوانب اللغوية منها والأدبية، وقد أكرمها بأن جعلها وسيلة لنشر دينه العزيز في كل أصقاع الأرض، فحفظت من الزوال والاضمحلال بحفظ الله للقرآن الكريم.

وكما هو معلوم فإن العربية تزخر بعديد الأجناس الأدبية شعراً ونثراً، ومن بين الفنون النثرية التي ظهرت وكان لها ذيوع وصيت هو فن الخطابة، لأنه في الحقيقة أبلغها إيصالاً للفكرة المرجوة لما له من بعيد الأثر خاصة في نفوس الإنسان العربي عامة والجزائري خاصة، ومن أبرز خطباء العرب النبي صلى الله عليه وسلم.

والخطابة الجزائرية جزء لا يتجزأ من الخطابة العربية الإسلامية تأخذ عنها وتنهل وتستقي من منابعها، وتعد المرحلة التي ظهرت فيها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أزهى المراحل التي مر بها هذا الفن، لكونها أرجعته إلى فتراته الزاهرة، وأدرك علماؤها مكمن القوة فيها، وفي هذا تكمن أهمية الموضوع وقيمته الأدبية والفنية، ومن هنا كان اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم ب "فن الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أبو يعلى الزواوي أنموذجاً " لأسباب بعضها ذاتية وأخرى موضوعية؛ فالذاتية: هي الرغبة الجامحة في دراسة جمعية العلماء المسلمين وحب الإطلاع، أما الأسباب الموضوعية: حاجة الموضوع إلى دراسات أكاديمية، وتوضيح مدى إسهامات الجمعية في فن الخطابة الجزائرية التي قامت بإحيائها بعد أن ضعفت وكادت تزول، إضافة إلى نقص البحث حول الجمعية وعلمائها الأدباء البلغاء الذين ملكوا ناصية القول في علوم اللغة وفن الخطابة والحديث فوق المنابر وأمام الجماهير.

وقد دارت إشكالية البحث حول عديد الأسئلة منها: ما مكانة الخطابة عند علماء الجمعية؟ وهل جددوا في هذا الفن؟ وهل استطاعوا الوصول إلى الأهداف المبتغاة من الخطابة؟ وهل ارتقت هذه الخطب إلى المستوى المطلوب جمالياً وفنياً؟ ولماذا اختلفت الخطابة عندهم؟.

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي مع التحليلي، فجاءت تقسيمات البحث على النحو التالي: مدخل وفصلين ويضم كل فصل مبحثين وكل مبحث يحتوي على أربعة عناصر أساسية، تحدثنا في المدخل عن الخطابة تاريخها وتطورها، وفي الفصل الأول عن الخطابة عند علماء الجمعية، تضمن المبحث الأول

منه ظهور الاتجاه الإصلاحي في الجزائر وأسبابه التي منها عودة المثقفين الجزائريين الذين درسوا بالخارج، ثم تطرقنا لنشأة الجمعية وأنها كانت بادئ الأمر عبارة عن فكرة تطورت إلى جمعية إصلاحية ثقافية وسياسية إن صح التعبير، وفي العنصر الرابع تحدثنا عن أهداف الجمعية وخطبائها البارزين، من أمثال ابن باديس والإبراهيمي. وفي المبحث الثاني من الفصل الأول حول الخطابة عند الجمعية؛ تحدثنا فيه عن الهدف المنشود من الخطابة عند علماء الجمعية، والدور المهم الذي كانت تقوم به من خلال إبراز مكانتها وأنواعها وخصائصها الفنية.

وفي الفصل الثاني تطرقنا لأحد أقطاب فن الخطابة في الجزائر عهد الجمعية وهو أبو يعلى الزواوي الذي ترجمنا له في المبحث الأول بتبيين مولده ونشأته مع ذكر وإبراز شخصيته، وأهم مؤلفاته وكتبه، إضافة إلى الخطابة عنده والجديد الذي جاء به، وفي المبحث الثاني اجتهدنا في اختيار بعض خطبه وتحليلها واستخلاص أهم خصيصات وميزات فن الخطابة عنده، وختمنا البحث بخاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

ويعد هذا الموضوع الذي تمت دراسته من الموضوعات التي عالجتها عديد الكتب منها تاريخ الجزائر الثقافي وتاريخ الزواوة وخطب أبي يعلى، ومن الدراسات السابقة في هذا الموضوع: مذكرة دكتوراه عنوانها الخطابة في النثر الجزائري الحديث عيسى بن ساعد مدور، ومذكرتي ماجستير عنوانهما: وسائل الاتصال عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لمفيدة بلهامل، وجهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة اللغة العربية في الجزائر لمراد مزعاش، ومن صعوبات البحث تناثر المادة العلمية وتشعبها، وقلة تناولها لفن الخطابة وخصوصاً عند الجمعية، لكن بفضل الله وبمساعدة الأستاذ الدكتور أحمد جعفري استطعنا تجاوز الصعاب، وبذلنا قصارى جهدنا لإخراج هذه الدراسة العلمية إلى الوجود ، كما نشكر كل من أسهم في انجاز هذا البحث وخاصة الشيخ سالم موريدة على توجيهاته القيّمة في اختيار النموذج التطبيقي.

والله نسأل التوفيق والسداد.

مدخل

الخطابة تاريخ وتطور

فن الخطابة من الأجناس الأدبية التي عرفت منذ القدم، والتي بلغت شأنا عظيما نظراً لقيمتها الفنية والأدبية وتأثيرها الكبير بين أفراد المجتمع الإنساني قاطبة، وسنحاول في هذا المدخل تبيين الجذور التاريخية لهذا الفن من خلال تعريف هذا المصطلح الأدبي ونشأته، وكذا ذكر أنواعه، وإبراز أهم خصائص هذا الجنس الأدبي المتفرّد.

1- تعريف الخطابة:

أ- لغة: لقد وردت صيغة (خطب) في القرآن الكريم في مواضع مختلفة تشترك في الإطار اللغوي لهذه اللفظة.

إذ يقول سبحانه وتعالى﴿ **فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ** ﴾[1]

الخطاب هو الكلام، وفصل الخطاب، ما ينفصل به الأمر من الخطاب[2] وفي التنزيل العزيز﴿ **وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ** ﴾[3]، وفصل الخطاب أيضا: الحكم بالبيّنة، أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النّطق بأما بعد، أو أن يفصل بين الحق والباطل[4]

وجاء في معجم لسان العرب لابن منظور:" يقال: خَطَب فُلانٌ إلى فُلانٍ فَخَطَّبَه وأَخْطَبَه، أي أجَابه، الخِطَاب والمخَاطَبَة مراجَعَة الكَلام، وقد خاطَبَه بِالكَلام مُخَاطَبَةً وخِطَاباً وهُما يتخَاطبان، قال الليث : والخُطْبَة مَصْدَرُ الخَطِيبِ، وخَطَب الخَاطِبُ على المنبَر واخْتَطَب يَخطُبُ خَطَابَةً... ورَجُل خَطِيبٌ حَسَن الخُطْبَة، وجَمْع الخَطِيب خُطَبَاءُ وخَطُب بالضم خَطَابة بالفتح صار خَطِيباً ..."[5]

وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي :" الخَطْبُ: الشأن والأمر صغر أم عظم، والجمع : خطوب ... وخَطَب الخاطب على المنبر خطابة بالفتح ، وخُطبة بالضم وذلك الكلام: خطبة أيضا أو هي الكلام المنثور المسجع ونحوه، ورجل خطيب: حسن الخطبة..."[6]

يتبين من هذا التعريف اللغوي أن الخطبة كلام منثور يلقيه صاحبه على جمع من الناس ليعبر عما في داخله إلى الذي يخاطبه ، فهي إذن وسيلة للتعبير عن مراد ما .

ب- اصطلاحا: ورد في كتاب التعريفات للشريف الجرجاني أنها:" قياس مركب من مقدّمات مقبولة أو مظنونة من شخص معتقد فيه، والغرض منها ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم..."[7]

فالخطابة بهذا المعنى يراد بها حث الناس على إدراك حوائجهم والعمل على ما ينفعهم في الدنيا والدين.

---

[1] سورة ص، من الآية 23

[2] المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1،(1425هـ/2004م)، ص243.

[3] سورة ص، من الآية20.

[4] المعجم الوسيط، ص243.

[5] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،ج1، (دط)، 1388هـ/1968م، ص360.

[6] القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط3، (1301هـ)، ج1، ص62،63..

[7] التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، (دط)، 2000م، ص104.

وفي تعريف آخر:" الخطابة هي فن من الفنون النثرية عند العرب، قوامه الكلمة الفصيحة والعبارة البليغة، يعتمدها الخطيب لإقناع سامعيه بصواب فكرة أو نشر مبدأ أو عقيدة... مستعينا على إبلاغ غرضه بما يضاعف ويساعد طاقة النطق الشفهي من نبر مستساغ وإشارة موحية، وصوت إيقاعي مؤثر وكل ما يستطيع أن يستحوذ به قلب جمهوره من بث العاطفة وإثارة الخيال، ويستهوي عقله من منطق سديد وبرهان أكيد، وحجج لا يقف بوجهها ريب ولا شكوى"[1]. يمكن القول أنها جنس أدبي ينماز بفصاحته وبلاغته وقوة حبكه وصياغته، يخاطب المستمعين فيأخذ نفوسهم ويستحوذ على عقولهم وقلوبهم لما له من سبيل الإقناع السديد والقول المفيد بالبرهان الأكيد.

وبمعنى آخر:" فن التعبير عن الأشياء بحيث أن السامعين يصغون إلى مايقوله المتكلم في موقف رسمي مختلف عن المجالس المألوفة في الحياة اليومية، وهي تشد عادة الرابط بين أذهان السامعين من جهة، والأفكار التي تناهي إليهم من جهة أخرى، وهذا يفرض على المتكلم أن يكون ذا ثقافة واسعة ليتوصل إلى تنسيق خطبته وتوضيح الأفكار التي يعالجها وطريقة عرضها لتتوقف مع المحرّضات النفسية والعقلية في الجمهور." [2]

إذا فالخطابة تختلف عن الفنون الأدبية الشعرية والنثرية منها كونها تضم مجلساً مختلفاً يختلف عن كل المجالس فهي تضم عادة جمعاً غفيراً من الناس، أو تحمل جوّاً مختلفاً عن الأجواء التي تعوّدها السّامعون، فهي تدرس موضوعاً اجتماعياً معيّناً إمّا لنقده وتغييره إن كان قبيحاً، وإمّا للثناء عليه إن كان حميداً وترسيخه في أذهان المتكلمين، فهي ترغيب في شيء محمود، أو ترهيب من شيء مذموم.

كما أنها فن نثري يعتمد الفصاحة وقوة البيان مع الارتجال، وحسن سبك الحجّة والبرهان من أجل إقناع السامعين، وهو ما يتطلب سعة الثقافة والترفّع عن الرذائل ومعرفة مواطن الكلم ومواضعه، والهروب من اللّحن والخطأ، ويمكن اعتبار التعريف الذي أورده عبد الجليل عبده شلبي شاملاً لمعنى الخطابة إذ يعتمد فيه على القول الشفوي في الاتصال بالناس لإبلاغهم رأياً من الآراء حول مشكلة ذات طابع جماعي وبمعنى أشمل" هي فن المخاطبة بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة"[3]

إذن فهي تعتمد الارتجال في الإلقاء ومواجهة الجمهور من أجل إيقاظ الهمم، وبلوغ المرام من الفكرة التي يحاول الخطيب إيصالها للسّامع.

2- نشأة الخطابة وتطورها:

ذكر الأستاذ علي محفوظ في كتابه فن الخطابة وإعداد الخطيب أن الخطابة قديمة العهد وهي مخلوقة مع الإنسان وأرجع تاريخ نشأتها للأنبياء والرّسل عليهم السّلام والتي سخّروها في سبيل الدّعوة إلى طاعة الله وتوحيده،

[1] فن الكتابة والقول، محمد التنوخي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 ،(1423هـ/2000م)، ص183.

[2] المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،(دط)،(دت)، ص103.

[3] الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، القاهرة، ط2،(1407هـ/1986م)، ص13.

وإرشاد الناس إلى الصّراط السّوي، حيث قال إن من بين الآثار الباقية من خطبهم خطب التوراة التي قام بها الأنبياء عليهم السلام إلى بني إسرائيل ليحملوهم بها على الاستقامة ويردوهم عن الشّرور والغواية. [1]

وفي مرحلة لاحقة" عثر في كتابات الأشوريين وآثار قدماء المصريين الهيروغليفية على خطب تأديبية جاءت على ألسنة آلهتهم وملوكهم."[2]كما لا نغفل العهدين اليوناني والروماني والجهود التي قدّموها بحكم أن الثقافة الأدبيّة لهاتين الأمّتين هي أساس النهضة الحديثة في أوروبا، فعند اليونان ظهرت الخطابة في دولهم الأولى ومنازعاتهم السياسية وحروبهم وهي من أهم البواعث على تحريك لسان الخطابة، فلهذا اتسمت " بفضيلة القول، والتعبير البليغ وتقدّم الخطيب على العالم والفيلسوف."[3]

وكان اليونان أول من دوّن قواعد الخطابة على يد فلاسفة أبرزهم أرسطو حيث أصبحت الخطابة فنّاً من خلال كتابه الخطابة. أما عند الرومان فلم تظهر إلا بعد اليونان بأمد بعيد، وذلك بروز خطابة وخطباء أمثال شيشرون الذي عدّ كأشهر خطيب روماني[4]، وبعد الحديث عن العهدين اليوناني والروماني وما أفرزاه في مجال الخطابة، نعرج الآن إلى الخطابة العربية على مر العصور، فالناظر في الأدب العربي القديم يقع بصره إلى أن العرب اهتموا بالشعر أكثر من اهتمامهم بالنثر، من حيث روايته وتوثيقه ونقده وتحليله، مع أنه مادة خصبة تستحق أن نقف عندها، وهي جديرة بأن تحظى بدراسات معمّقة لفحصها والتمعّن فيها.

فالنثر هو الوجه المشرق في كل عصر من العصور يعكس الجوانب الإيحائية والجمالية في كل مناحي الحياة، كما أنه يمثل حياة العربي- إضافة إلى الشعر- وأصالته العربية، التي تقوم على مكارم الأخلاق والعفة وحسن الجوار وغيرها من الخصال التي تميّز بها الإنسان العربي.لقد عَرفَ العرب الخطابة منذ الجاهلية، إذ هي من الفنون النثرية العربية التي لم يصل منها إلا القليل كالحكم والأمثال والوصايا، ولقد كانت الفنون النثرية خصوصاً تمثل جانباً حسناً في الأدب العربي، ولقد حرصت الخطابة مثلاً على إظهار النبيلة، والأخلاق الحميدة، والسّير الشريفة، وتوجيه الأمّة إلى الكمال، والحياة إلى الأفضل، من خلال تلك النصوص التي تعتبر دليلاً شامخاً على نبل هذه الأمة وبرهاناً ساطعاً على سلوكها، وشعلة منيرة أضاءت للأجيال مسالكهم.[5] و"كان للخطابة في العصر الجاهلي شأن أي شأن، إلا أنه ليس بين أيدينا نصوص تمثل تطور هذا الفن وترصد انتقاله من مرحلة إلى مرحلة، والشّك فيما بلغنا من خطب لا يدفعنا إلى إنكارها، فلقد كانت حياة العرب تقتضي ازدهار الخطابة، وتجعلها رديف

---

[1] ينظر، فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام، دار النهضة للطباعة الإسلامية، مصر،(دط)،(دت)،ص20.

[2] المرجع نفسه، ص20.

[3] ينظر، الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها (1931/1954م)، إعداد: عيسى بن ساعد مدور، إشراف: عبد القادر دامخي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،(2004/2005م)، ص72.

[4] المرجع نفسه، ص73.

[5] ينظر، النثر في العصر الجاهلي، هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1993م، ص9.

الشعر الأول في ترجمة المشاعر والأفكار ثم في توجيه الأحداث."[1] وهذه إشارة إلى أنّ فن الخطابة بلغ مرتبة مرموقة في الحياة العربية التي جعلتها مرادفة للشعر في التعبير عمّا يختلج في النفس.

ويرى شوقي ضيف أن الخطابة كانت فوق الشعر، وأن صخب الحياة السياسية رجّح منزلة الخطيب، واستدلّ بقول عمرو بن العلاء بأن الشاعر قُدّم على الخطيب لفرط الحاجة إلى الشعر الذي يعظّم شأنهم ويهوّل على عدوّهم، فيهابهم شاعر غيرهم، وعندما كثر الشعر والشعراء، واتُّخذ من الشعر عملاً يكسب به الرزق، وتسرّع الشعراء إلى أعراض الناس أصبح الخطيب عندهم فوق الشاعر.[2]

على أيّ حال فإن الخطابة تعتبر مظهراً من المظاهر البارزة في العصر الجاهلي للأدب العربي، وقد دلّ ذلك على فصاحة العرب وبلاغتهم وبيانهم وتمكّنهم من ناحية اللّغة، فاتّخذ العرب من الخطابة سبيلا للإقناع والتأثير، وقد سار هذا الفن في فترة من الفترات في العصر الجاهلي جنباً إلى جنب مع الفن الشعري، وأعظم دليل على عظم قدر الخطابة وجلالتها عند العرب، أنّه لما نزل القرآن الكريم على سيّدنا محمّد صلى الله عليه وسلم أبهرت المشركين فصاحته وبيانه، حتى اتّهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بالسّحر، وكذلك ما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم بأن من البيان لسحرا عندما تحدث عن عمرو بن الأهتم التميمي لما أعجبه كلامه، فهو نوع يحلّ من القلوب والعقول في التمويه محل السّحر، إذ يكشف صاحبه عن الشيء بحسن بيانه فيستميل القلوب ويستهوي العقول.

وكان على الخطيب ارتداء زيّ خاص ويختار مكاناً لائقاً ، ويخطب واقفاً ويصعد أرضاً مرتفعة ويحمل بيده عصاً أو عكّازاً يتكئ عليها ويستعين بالإشارة لتوصيل العبارة، وأن يكون جهير الصوت ، ومجمل القول، فالخطيب الناجح هو الذي يستطيع التأثير في السّامعين، ويجذب عقول النّاظرين باستعمال أسلوبه وطريقته المقنعة مظهراً ملامحه وحركات جوارحه، وقدرته على توصيل هدفه ومقاله في مقامه وغرضه، إلى جانب وفرة ثقافته، وسعة معلوماته بحيث يستطيع إدراك ما يحيط بموضوعه الذي يتحدث عنه ملمّاً بجميع الجوانب التي تتصل به .ناهيك عمّا يجب أن يتصف به من فطنة وذكاء، وما يتميز به من لياقة وحسن أداء وتصرف في الأفكار والأسلوب .[3]

وقد حملت الخطابة في صدر الإسلام عبئاً كبيراً في تبليغ الرّسالة ونشر مبادئ الإسلام ، و كان هذا سبباً قويّاً في نهضة الخطابة وظهور عدد كبير من الخطباء ذوي اللّسن ، والذين أثْروا اللغة العربية بخطبهم وما أثر عنهم من

---

[1] الأدب الجاهلي(قضاياه أغراضه أعلامه فنونه)، غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1،(1422هـ/2002م)، ص675.

[2] ينظر، نفح الطيب في الخطابة والخطيب، معروف الرصافي، دار الأوقاف الإسلامية، ط1، (1336هـ/1917م)، ص60.

[3] ينظر، النثر في العصر الجاهلي، ص43-49

كلام بليغ ومحاورات مقنعة وحكم قاطعة ، حتى إنّ الإسلام جعلها فرضاً في صلاة الجمعة ، فالمسلم يسمع على الأقلّ خطبة كل أسبوع كما أنها مشروعة في العيدين، ويوم الحج الأكبر، وعند الدعوة إلى الحرب أو السّلم. وقد ازدهرت الخطابة في العصر الأموي نظراً للاختلافات التي ظهرت، ثم قدم دعاة الدعوة العباسية من أمثال:أبي سلمة الخلال وأبي مسلم الخرساني وأئمة الدعوة وكل أولئك كانوا خطباء أقوياء .

وقد برز فيها غرض الجهاد والتحريض أكثر من أي غرض آخر وخصوصاً معارك علي ومعاوية رضي الله عنهما، ولم تنقطع الخطبة الإسلامية عن الخطبة الجاهلية نهائيّاً فبقي بها كثير من خصائصها من جزالة الألفاظ وإن قلّ غريبها ، ومن استشهاد بالأبيات الشعرية ، وظلّت قصيرة إلاّ ما اقتضاه المقام من الطول، وقد جاء هذا في الخطبة الجاهلية والإسلامية كما أنّهم استحسنوا قصر الخطبة لكي تبقى عالقة بالأذهان ، وحتى يسهل حفظها وعدم نسيانها ، وقد أوصى أبو بكر يزيد بن أبي سفيان حين أرسله إلى الشام وقال له :وإذا وعظت فأوجز فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً .[1]

3- أنواع الخطبة : هناك أنواع عديدة للخطب تختلف باختلاف موضوعاتها التي توضع من أجلها وهذه الأنواع تضم الدينية فالسياسية والخطب القضائية والخطب الاجتماعية وخطب المناسبات:

أ- الخطبة الدينية: هي الخطبة الوعظية أو العظة الدينية، وهي تعتمد على تعاليم الدين، أو تلقى لغرض من الأغراض وغالباً ما يلقيها الخطيب في أماكن العبادة كالمساجد، ويذكر أحمد محمد شاكر أن الخطبة عند المسلمين سواء أكانت للجمعة أو العيدين أو غير ذلك فهي تعليم وتبليغ وإرشاد وتنظيم لشؤون المسلمين من عبادة، ومن خلق كتعليم الأفراد أو التحريض على الجهاد .[2]

ب- الخطبة السياسية : وهي التي تلقى من قبل السياسيين في البرلمانات والمؤتمرات ومن الحزبيين في أماكن ومناسبات مختلفة، فلهذا النوع شأن كبير فعليها تبنى حياة الأمة ورقيها مادياً وأدبياً، وغايتها في الحرب والسلم، وهي بمثابة حركة مد وجزر يسيطر فيها الأفراد على الجمهور أو العكس، فيتبع الخطيب هذه الأمواج آمراً في القوم أو خاضعاً لرغباتهم، فلا هو متأكد بالنجاح كل التأكيد ولا هو يائس منه تمام اليأس.[3]

ج- الخطبة القضائية: هي التي تلقى في قاعات المحاكم أمام هيئات القضاء طلباً للحكم في أمرها، ازدهرت كسائر الخطب في اليونان، حيث كان الخطباء يدافعون عن مالهم وشرفهم وأرزاقهم أمام القضاء، وقد ازدهرت

---

[1] ينظر، الخطابة وإعداد الخطيب، الصفحات 174- 176 - 179.

[2] فن الإلقاء العربي(الخطابي والقضائي والتمثيلي)، فاروق سعد، شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2 ، 1999م ،ص55.

[3] ينظر، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص82.

الخطبة القضائية عند العرب في العصر الحديث مع ازدهار مهنة المحاماة في ظل الديمقراطية والعدالة وسيادة القانون في الأمكنة القليلة والأزمنة القصيرة التي توفر وجودها فيها.[1]

د- الخطبة الأكاديمية: هي كلام علمي صناعة وبحثا ولها تركيب بسيط يقرب منال الحقائق العلمية من الأذهان[2]، وهي تشمل المحاضرات التي يلقيها أساتذة الجامعات، وتضم خطب الاستقبال والترحيب للذين يقرر إدخالهم المجامع العلمية والأدبية، أو الذين يمنحون جوائز في المجال الثقافي.

هـ- الخطبة العسكرية: هي التي يلقيها قواد الجيش قبل الحرب، يدفعون فيها الجند على مواجهة الأعداء والتصدي لهم، وهدفها إشعال نار الحماسة في الجند وإثارة حميتهم ونخوتهم للدفاع عن أوطانهم، وخير شاهد على ذلك خطبة طارق بن زياد على ساحل الأندلس والتي يستحسن فيها أمران: استنهاض همة الجندي بأن يعظم شأن وطنه وإبغاض العدو والحقد عليه ببيان جوره وطمعه.[3]

و- خطب المناسبات: وهي التي تكون في حفلات التكريم أو الخطب التي تكون أيام الأفراح أو التأبين.[4] هذه هي أهم الأنواع التي برزت في هذا الجنس الأدبي تبعاً للموضوعات التي عالجتها.

4- خصائص الخطبة: تمتاز الخطابة بسمات وخصائص تميزها عن باقي الأنواع النثرية فإذا ما تحققت هذه المميزات عدة الخطبة ناجحة.ومن أبرزها:

1- أن تكون مخاطبة لجمهور من الناس[5]، أي يلزم حضور جمع غفير من الناس كالجمعة وخطب المحافل وغيرها.

2- أن يلقى الحديث بطريقة إلقائية ، فجهارة الصوت واختلاف نبراته تعطي للخطبة نغما موسيقياً يستهوي السامعين ويثير مشاعرهم كما يستحب أن تصحبه إشارات باليد مع إبداء الخطيب تفاعله بما يقوله.[6]

3- أن يكون الحديث مقنعاً بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تثبت صحة الفكرة التي يدعوا إليها الحديث، وتؤخذ هذه الأدلة من التأمل في الموضوع وإمعان النظر في أحواله ليسهل استنباطها.[7]

4- أن يتوافر في الخطبة عنصر الاستمالة، أي توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي الذي تدعوا إليه الخطبة وهذا العنصر مكمل لما قبله إذ لابد مع الأدلة توفّر الآداب الخطابية، والعلم بالأهواء والميول النفسانية، وذلك أن

---

[1] ينظر، فن الإلقاء العربي، ص 58.

[2] فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 70.

[3] المرجع نفسه، ص 85.

[4] فن الإلقاء العربي، ص 58.

[5] ينظر، المرجع نفسه، ص 46.

[6] ينظر، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 44.

[7] ينظر، فن الإلقاء العربي، ص 46.

مقصود الخطيب إنارة العقول وتنبيه الأذهان وحملها إلى الإذعان وكذا التأثير في الأرواح وجذب واستمالة النفوس إلى ما يطلب منها بإثارة عواطفها، ويعد هذا العنصر من أهم الخصائص التي تبنى عليها الخطبة.[1]

هذه هي أهم الخصيصات التي تميز بها فن الخطابة، وسنحاول في الفصل الأول الحديث عن الإرهاصات التي مهدت لظهور الجمعية ونشأتها وخطبائها إضافة إلى استعمالها لفن الخطابة والمكانة التي أولتها إياها.

[1] ينظر، فن الخطابة وإعداد الخطيب، ص 33.

الفصل الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفن الخطابة.

المبحث الأول: ظهور الاتجاه الإصلاحي ونشأة الجمعية.

1- عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر.

2- نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

3- أهداف الجمعية.

4- خطباء الجمعية.

المبحث الثاني: علماء الجمعية وفن الخطابة.

1- مكانة الخطابة عند جمعية العلماء.

2- أهداف الخطابة عند جمعية العلماء.

3- أنواع الخطابة عند جمعية العلماء.

4- خصائص الخطابة عند علماء الجمعية.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من بين الحركات الإصلاحية، والتي ظهرت كردّ فعل على السياسة الفرنسية في الجزائر، إذ حاولت النّهوض بذلك الشعب المغلوب على أمره من خلال عديد الجهود التي بذلتها، وقد كان من بين الوسائل التي اعتمدتها في ذلك وكان لها التأثير البارز فن الخطابة، فقد أتقنها جلّ علمائها، وسنتطرّق في هذا الفصل إلى نشأة الجمعية، وأهم خطبائها، مروراً بالمكانة التي احتلّتها الخطابة عندهم والدور الذي قامت به مع تبيين أهمّ أنواعها، والخصائص التي ميّزت خطبهم.

المبحث الأول: ظهور الاتجاه الإصلاحي ونشأة الجمعية:

1- عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر: كتب الشيخ البشير الإبراهيمي في سجل مؤتمر الجمعية أن الفضل في ذلك يعود إلى: الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده[1]، وأثرها في نفوس الجزائريين المتبرّمة من الحاضر والمستشرقة إلى تبدّله بما هو خير.[2] ولقد كانت الحركات الإصلاحية التي قادها كلّ من محمد عبده ومن بعده تلميذه محمد رشيد رضا[3] قريبة من الجزائر" وكانت كتب محمد عبده كرسالة التوحيد والإسلام والنصرانية وأسلوب دعوته وطريقته في الإصلاح محل دراسة علماء الجزائر وتدريس في معاهدها وزواياها ومادة لخطبها في مساجدها"[4] وقد انتشر الفكر الإصلاحي لمحمد عبده في الجزائر وتأثرت به جميع طبقات المجتمع، فأحّبته وتقبّلته لثقتها به وإعجابها بطريقته.

ويعترف ابن باديس بفضل رشيد رضا ومجلّته المنار وسبقه في مجال الإصلاح خصوصاً في تفسير القرآن بقوله:"نشرنا مايلي من تفسير حجّة الاسلام محمد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافاً له بفضل السّبق إلى نشر هداية القرآن على المسلمين بمجلة شهرية كانت قدوتنا فيما تنشر من مجالس التذكير"[5] - كذلك ما فعلته الثورة العلمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية وتربيته الصحيحة التي كان يأخذ تلاميذه بها، وقد كانت هذه بمثابة النواة لحركة الإصلاح الدّيني الشامل في الجزائر، وقد ارتبطت

---

[1] هو محمد عبده بن حسن خير الله، من كبار الإصلاح والتجديد في الاسلام، تولى منصب القضاء ومفتياً للدّيار المصرية إلى أن توفي بالإسكندرية (1323هـ/1905م) ودفن بالقاهرة، له: رسالة التوحيد وشرح نهج البلاغة، ينظر،الأعلام، خير الدين للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت،ط5، 1980م، ج6، ص252.

[2] ينظر،سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،2008م، ص 46، 47.

[3] هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين، أحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، له: مجلة المنار أصدر منها 34 مجلداً وتفسير القرآن 12 مجلداً ولم يكمله، توفي سنة (1354هـ/1935م) ودفن بالقاهرة، ينظر، الأعلام ، ج6، ص 126.

[4] نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م، ج2، ص30.

[5] الشهاب، عبد الحميد بن باديس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1421هـ/2001م)، مج11،ج7، ص 453.

بدروسه في المساجد والمدارس والمحاضرات الخاصة والعامة التي كان يلقيها بانتظام وبحسب المناسبات والاجتماعات الخاصة والعامة.[1]

– ويأتي بعد ذلك نهضة التعليم العربي في المدارس الوطنية الحرة: والذي كان له دور كبير في بلورة الثقافة الأدبية والفكرية بالجزائر، وقد بلغ تعداد المدارس العربية الحرة التي أسّستها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام خمسة وخمسين وتسعمائة وألف أربعمائة مدرسة عصرية لتدريس العربية، ومبادئ الفقه الإسلامي والجغرافي والتاريخ.[2]

– التطوّر الفكري الذي أنتجته الحرب العالمية الأولى خصوصاً على الصعيد السياسي والاجتماعي والذي أدّى – في نظر الإبراهيمي– إلى انحطاط قيمة المقدّسات الوهمية في نظر كثير من الناس بانكباب أساطين التدجيل على المال، والتكالب على جمعه والانهماك في الملذات، ومزاحمة العامة في الوظائف والنياشين بعد أن كانوا يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف.[3]

وقد كان لهذا التطور الفكري أثر عميق في نفوس الجزائريين الذين جنّدوا منهم والذين كانوا بأرض الوطن باقتناعهم بأن حرّيّتهم تكمن في فكّ وطنهم من الأغلال الفرنسية بمجابهة الاستعمار بشتى الطرق.

– عودة فئة من الجزائريين الأوائل الذين أكملوا دراستهم في البلاد العربية كالحجاز ومصر أين تلقوا العلم بفكرة إصلاحية واعية أمثال: البشير الإبراهيمي، والطيّب العقبي، ومبارك الميلي وغيرهم. وقد كان تأثّرهم بالإصلاح تأثّراً خاصا مستمدّاً قوته وحرارته مباشرة من كلام الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.[4]

– دور الصحافة والتي اهتمت خصوصاً بالقضايا الدّينية كنشر الدين الصحيح ومحاربة البدع ومعالجة مواضيعها بحساسية كبيرة وجرأة، وقد بدأت بالظهور بعد شعور المصلحين بأهميتها في نشر المبادئ الصحيحة وانتقاد الأوضاع الاجتماعية والسياسية وحتى الدينية التي كان يعيشها الشعب آنذاك. كما ساهمت الصحافة المشرقية في زعزعة الجمود الفكري وإيقاظ الضمير العربي الإسلامي في الجزائر، فاستجاب لها الجزائريون واقتدوا بها في خلق صحافة وطنية عربية وفرنسية تصدر عن اتجاهات متعددة. ونذكر من الجرائد الوطنية جريدة الحق وكانت أول جريدة تصدر بالقطر الجزائري لمسلمين جزائريين، أنشأتها جماعة منهم في عنابة سنة 1893م بالفرنسية ثم بالعربية والفرنسية.[5]

---

[1] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 47.

[2] ينظر، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر(1830– 1962)، عبد المالك مرتاض، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ج1، ص52.

[3] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 48.

[4] المصدر نفسه، ص48، 49.

[5] ينظر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، عبد الكريم بوالصفصاف، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص63.

ولقد أضاف الأستاذ أحمد الخطيب عوامل أخرى سمّاها العوامل السلبية[1] وتتمثل في الطرق الصوفية والمرابطية المنحرفة، ثم الدّعوات الاندماجية التي حاول متزعموها سلخ الجزائر من تراثها القومي بدعوى العلمانية وتذويبها في الكيان الفرنسي، ومن ذلك أيضا شدة تضييق السلطة الاستعمارية على الدين الإسلامي بتأميمها لكل مؤسّساته، رغم دعوى اللاّئكية التي تقضي بعدم التدخّل في شؤون الدين، والتي كان دأبها واقعيّاً مع الديانة المسيحية واليهودية فقط.[2]

وقد أشار الإبراهيمي إلى الآثار السيّئة للطرقيين قائلاً:" إنهم بعد أن أفسدوا فطرتها وأماتوا ما غرسه الإسلام فيها من فضيلة وفكّكوا كلما أحكم بينها من روابط الأخوة، وراضوها على الذلّ والمهانة والخضوع وسدّوا عليها منافذ النّور فاستقامت لهم على ذلك."[3] والحق أن هذه الطرق أدخلت على الإسلام ما ليس فيه من بدع وخرافات وأباطيل، الشيء الذي استوجب ردة فعل على ما آلت إليه أوضاع الدين في المجتمع الجزائري، فكان ظهور الجمعية بعلمائها الذين واجهوا هذا الشذوذ الفكري بالطرق العلمية في الكتاتيب والمساجد .

2- نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إنّ بروز جيل المصلحين الجزائريين أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وكذا الحالة التي آلت إليها الجزائر في غضون الحرب العالمية الأولى وبعدها من الانحطاط الذي وصل إليه الإسلام في الجزائر بسبب الضعف الذي أصاب المسلمين بسبب الاحتلال أو غيره، أدّت كل هذه العوامل إلى تولّد فكرة عند جملة من العلماء بإنشاء جمعية تضم مجموعة من العلماء غايتهم الأولى إحياء الدّين، وإصلاح المجتمع، وكانت هذه الفكرة أول ما بدأت بعد شعور الأمة بسوء الحال" والشعور بالفساد وهو أول مراحل الإصلاح"[4] ومن بين الأسباب التي أدّت إلى ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931م ما يلي:

- نشوء مناخ ملائم للإصلاحيين بعد اجتماعهم وتفكيرهم في إنشاء جمعية دينية غرضها إصلاح المجتمع.[5]

- الاحتفالات التي قام بها الاحتلال الفرنسي في جويلية من عام 1930م بعدما بلغ عمر فرنسا في الجزائر قرناً من الزمن، وبهذه المناسبة قامت فرنسا باحتفالات صاخبة في الجزائر" ودعت إليها الدنيا كلها"[6] وأعادوا ذكرى

---

[1] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، أحمد الخطيب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص94.

[2] صراع بين السنة والبدعة، أحمد حماني، دار البعث، قسنطينة، 1984م، ج2، ص241.

[3] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص33.

[4] المصدر نفسه، ص55.

[5] ينظر، المصدر نفسه، ص49.

[6] مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، العدد21، 1966م، ص143.

جيش الاحتلال الأول بملابسه وموسيقاه، فكانت الصورة الاستفزازية التي ظهرت بها تلك الاحتفالات تظهر مدى كره وحقد المسؤولين الفرنسيين للعروبة والإسلام.[1]

- كما كان للصحافة دور في إبراز فكرة إنشاء جمعية العلماء فأصبحت تتداولها الصحف وتلوكها الألسن بين زعماء الإصلاح في الجزائر خلال العشرينيات، إذ تأسّست جريدة النجاح الحرة سنة 1919م، وجريدة المنتقد سنة 1925م (جريدة سياسية تهذيبية انتقادية)، وخلال العام نفسه تأسّست جريدة الشّهاب لصاحبها الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكانت جميع هذه الجرائد بقسنطينة.[2]

- وقبل هذا وفي سنة 1924م قام ابن باديس بزيارة الإبراهيمي بسطيف وأوحى إليه بفكرة إنشاء جمعية للعلماء تحت اسم (الإخاء العلمي) يكون مركزها العام بمدينة قسنطينة تجمع شمل العلماء والطلبة وتوحّد جهودهم، وشرح له غاية هذه الجمعية ونتائجها.[3]

هذه الأسباب تكاد تكون النّواة الحقيقية لتأسيس الجمعية، ولعلّ الاحتفالات الصّاخبة للاحتلال الفرنسي ولّدت روحا وطنية" وكانت عاملاً قوياً في سرعة إخراج فكرة تكوين الجمعية من حيّز الأماني إلى حيّز الوجود الفعلي"[4]

بناءاً على ذلك وبعد عام، كان ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين "على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء السابع عشر من شهر ذي الحجة 1349هـ الموافق للخامس من ماي سنة1931م" [5] على يد صفوة من من علماء الجزائر وقاموا بعقد اجتماع في نادي الترقي بالعاصمة وجرى في شكل جمعية عامة، ليُسنّ بعد ذلك القانون الأساسي للجمعية وعينوا للرئاسة المؤقتة السّيد أبا يعلى الزواوي[6] وللكتابة الأستاذ محمد الأمين العمودي[7]، وفي اليوم نفسه تمّ انتخاب الهيئة الإدارية التي تضم ثلاثة عشر عضواً [8] عن طريق الاقتراح،" وأعلنت الجمعية لهؤلاء المشائخ أنّ عملهم الآن مقصور على انتخاب رئيس لهم ونائب رئيس وكاتب عام ومساعد وأمين

---

[1] ينظر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931- 1956) ورؤساؤها الثلاثة، تركي رابح عمامرة، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،(1425هـ/2004م)، ص41 ، 42.

[2] ينظر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص 77،76.

[3] ينظر، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص 52.

[4] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، ص42.

[5] آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي(1929-1940م)، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م، ج1، ص71.

[6] سنأتي على ترجمته بالتفصيل في الفصل الثاني.

[7] من مواليد 1890م بوادي سوف، التحق بالمدرسة القرآنية والفرنسية، كان بارعاً في المحاماة والترجمة، أصدر جريدة الدفاع الناطقة بالفرنسية 1934م، اختطف ثم وجد مقتولاً قرب مدينة البويرة في1957م، ينظر، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، رابح خدوسي، دار النهضة، الجزائر، ط1، 2003م، ص60.

[8] ينظر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص89.

مال ومساعد وأن يعيدوا النظر في القانون الأساسي ويقدّموه للحكومة للتصديق"[1] وفي نفس اليوم وعلى الساعة الثامنة مساء اجتمعت الهيئة الإدارية خاصة ما عدا الأستاذين ابن باديس والطرابلسي[2] الغائبين، وقد انتخب ابن باديس رئيساً لها وللنيابة عنه البشير الإبراهيمي ، وللكتابة العامة الأستاذ الأمين العمودي ولمساعدته الأستاذ الطيب العقبي[3] ولأمانة المال الأستاذ مبارك الميلي[4] ولمساعدته الشيخ إبراهيم بيوض[5]، كما تمّ الإعلان عن القانون القانون الأساسي بعدما تمت الموافقة عليه بالإجماع في اليوم الموالي للتأسيس، وقرّر خلال هذه الجلسة ترجمته إلى الفرنسية وتقديمه للحكومة من أجل المصادقة عليه.[6] ومما تجدر الإشارة إليه أنّ فترة رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس للجمعية دامت قرابة العشر سنين أي إلى أن توفي يوم الثلاثاء 8 ربيع الأول 1359هـ الموافق ل 16 أبريل 1940م ، وتولّى نائبه الشيخ البشير الإبراهيمي رئاسة الجمعية إذ انتخب غيابيّاً وهو في منفاه في آفلو بالجنوب الجزائري.[7]

3- أهداف الجمعية:

إنّ النّاظر والمتتبع لحالة الجمعية يجد أن مبدأها الأول والرئيس هو الوعظ والإرشاد وتهذيب النفوس ومحاربة البدع والخرافات وكل الأمراض التي أصابت المجتمع الجزائري.

فقيام الجمعية لم يكن من فراغ وإنما قامت على مساع وأهداف ومبادئ ترسّخت لديها بفضل رجال وعلماء قاموا على صعيد واحد وهو إصلاح المجتمع الجزائري مقتدين بالآية الكريمة ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ** ﴾[8]، "فقد صرّح المصلحون من أول يوم بأنهم سائرون بهذه الجمعية على المبدأ الذي كانوا سائرين عليه من قبلها ومنه محاربة البدع والخرافات والأباطيل والضلال ومقاومة الشر من أي ناحية

---

[1] الشهاب ، مج7، ج5، ص367، 368.

[2] هو محمد بن الحاج إبراهيم الطرابلسي، ولد 1887م ، له أشعار عديدة في جرائد جمعية العلماء، اشتغل بالتعليم متنقلاً بين القرارة وبريان وقسنطينة وبسكرة، توفي ببريان سنة 1948م، ينظر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص680.

[3] من مواليد سنة1980م بسيدي عقبة (بسكرة)، هاجر إلى المدينة المنورة مع أسرته سنة 1895م، نشأ هناك وحفظ القرآن وتلقى علومه على يد علمائها حتى أصبح عالماً وداعية خطيباً، أصدر جريدة الإصلاح سنة 1927م، توفي 1960م، ينظر، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 58،59.

[4] من مواليد 1898م بميلة، حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ العلوم على يد الشيخ محمد الميلي، تخرج من جامع الزيتونة، توفي 1945م من آثاره: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، رسالة الشرك ومظاهره، ينظر، المرجع نفسه، ص73.

[5] من مواليد 1899م بالقرارة (غرداية) حفظ القرآن الكريم وأجاده وهو في سن مبكرة، شارك في وضع القانون الأساسي للجمعية سنة 1931م توفي سنة 1981م، ينظر، المرجع نفسه، ص135.

[6] ينظر، الشهاب1931م ، مج7، ج5، ص368.

[7] ينظر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية، ص42 ،43.

[8] سورة الرعد، الآية11.

جاء"[1].ويستدل من هذا القول أن علماء الجمعية ماضون في عملية الإصلاح ومحاربة الجهل وكل ما من شأنه أن يغيّر مسعى الجمعية القائم على الأسّس الدينية، ولهذا "اعتبر بعض الكتاب أن الحركة الجزائرية الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء الباعث الحقيقي والعامل الرئيسي للنهضة الجزائرية لأنها جاءت بإصلاح شؤون الفرد في المعتقد والسلوك من جهة وإصلاح الأسرة والمجتمع من جهة أخرى وذلك عملا بالمبدأ القرآني والسنة الإلهية العمرانية."[2]وهذه حقيقة لا مناص منها لأن ظهور الجمعية في ذلك الوقت كان له بعيد الأثر في ثورة نوفمبر المباركة، فالمستقرأ لنشاط الجمعية وأعمالها يجد أن لها أهدافا أخرى غير الإصلاح، "فمنذ ميلادها حتى سنة 1956م يجد وبكل وضوح أهدافها كانت وطنية سياسية بالدرجة الأولى وإن كانت قد بدأت بتطهير المعتقد وتهذيب السلوك وتحسين الأخلاق"[3].

ويظهر هذا القول أنه كانت للجمعية أهدافا سياسية بعيدة المدى، والراجح أن علماء الجمعية تعمدوا عدم إظهار مطالبهم السّياسية، فلو عمدوا إلى الإقرار بالمطالب السّياسية لما سمحت لهم فرنسا بإنشاء الجمعية وتأسيسها، وهذا الأمر ينبئ عن ذكاء وتفطّن علمائها ووعيهم القومي واتخاذهم الحكمة في أعماهم ومشاريعهم؛ " فالعلماء بناءاً على رأي كاتب فرنسي لهم هدفان هامّان: أحدهما فوري والآخر طويل المدى، فالأول كان يتمثل في تجميع كل القوى المثقّفة، بما في ذلك المحافظون، تحت راية الإصلاح الاجتماعي، أما الثاني فقد كان يتمثل في فصل الجزائر عن فرنسا تحت علم الوطنية"[4]، كما وصفت الإدارة الفرنسية" أهداف الجمعية سنة1941م فقالت إنّ أهداف الجمعية تتمثل في تجديد الاسلام وتطهيره من الخرافات التي ألصقها بها شيوخ الزوايا وتطهير التعليم الديني والثقافة العربية"[5].

4- خطباء الجمعية:

قبل الحديث عن خطباء الجمعية ننوّه إلى أنّ الخطابة في الجزائر قد عرفت منذ زمن، و" المراحل الأساسية التي مرّت بها الخطابة هي عهد الأمير، وعهد الأشراف والمرابطين، ثم عهد المصلحين والسّاسة."[6] فالفترة التي سبقت عهد الجمعية عاشت فيها الخطابة كفن أدبي تدهوراً مريعاً وأصابها الضّعف القاتل وذلك" لظروف تتّصل بالحياة الأدبية والفكرية والسياسية، فقد هيمن الاستعمار على الواقع وأثر في مجرياته، فكان تأثيره قويّاً على أداة الخطابة

---

[1] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص57.

[2] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، ص98.

[3] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، عبد الكريم بوصفصاف، دار مداد، قسنطينة، ط2، 2009م، ص144.

[4] الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط4، 1992م،ج2، ص 397.

[5] جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ص145.

[6] تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م، ج8، ص104.

أي على اللّغة العربية التي ضعفت بل كادت تختفي من الحياة الأدبية والثقافية"[1] ويمكن اعتبار هذه الفترة من أضعف الفترات التي عاشتها الخطابة نظراً للسّياسة الاستعمارية الممنهجة فاقتصرت على العيدين والجمعة أي أنّها انحصرت في المناسبات الدينية وضاقت دائرتها فأصبحت مقتصرة على" المساجد والزوايا وباتت تقليداً لعصور الانحطاط بل أشدّ ضعفاً"[2] ويمكن أن نرجع سبب الضعف إلى خطباء تلك الفترة لأنّهم مرحلة لاحقة لعصر الضّعف والانحطاط الذي أصاب الأدب العربي عامة وفي الجزائر خاصة،فكانوا يكثرون من السّجع ولا يعتمدون على الارتجال" يرددون ما كتب بلا فهم، لأن ثقافتهم ضحلة وتعليمهم بسيط"[3] وما يبرر هذا القول هو ضعف أسلوب الخطابة وركاكته وعدم تماسك أجزائه وكذا بُعد المواضيع الملقاة عن واقع الجزائريين والحالة المخزية التي آل إليها المجتمع جرّاء الأمراض التي انتشرت بين أوساطه.

ويمكن اعتبار هذه الأسباب عائقاً أمام ازدهار الخطابة وتطورها بل" وأسهمت في الإبقاء على الجمود الفكري والأدبي والديني، وساعدت بشكل أو بآخر على بقاء الخرافة والوهم والخوف من العدو بما أشاعته بين الناس من روح التواكل وطلب الراحة والأمن بأي ثمن"[4] نظرا لاستيلاء المستعمر على المساجد واتخاذها كنائس وثكنات عسكرية وغرسه الجهل والأباطيل في المجتمع. ويعقب هذه المرحلة الزّمنية التي سبقت ظهور رجال الإصلاح متمثلين في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقامت بربط أصولها بالثقافة العربية خاصة منها المشرقية وأرست قواعدها على الماضي الجميل والقويم، فأسّست الصحف والمجلات والنّوادي العلمية، وأنشأت المدارس والمساجد الحرة، فأصبحت بعد ذلك تظهر بوادر الاستفاقة بفضل المناهج المعتمدة من قبل الجمعية، وقد برز جمع كبير من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مجال الخطابة غير أنه كان يتقدّمهم" الذين اشتهروا بالفصاحة والبيان، الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ الإبراهيمي، والطيب العقبي، وأحمد توفيق المدني."[5]

وهؤلاء يعدّون من رواد فن الخطابة دون تزكية، وهم الذين بقيت آثارهم حية إلى اليوم وأعمالهم خالدة يستفيد منها كل دارس وباحث، ويقتدي بها كل طالب علم. فظهرت الخطابة بحلّة جديدة إبّان ظهور الجمعية بالإضافة إلى أنّها " تطورت كثيراً في أسلوبها ومحتواها، وأصبحت فناً يعتمد على الموهبة والثقافة وعلى الارتجال، كما يدلّ على عناية المصلحين بهذا الفن"[6]

اشتهر كثير من علماء الجمعية بفن الخطابة، كما أن أغلبهم كان متمكّناً في مجال الخطابة العامة، وبعضهم جمع بين التعليم في المدرسة والإمامة في المسجد والخطابة في الجمعة والأعياد وكذا الوعظ والإرشاد لمختلف شرائح

[1] تطور النثر الجزائري الحديث (1930- 1974م)، عبد الله ركيبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص21.
[2] المرجع نفسه، ص21.
[3] المرجع نفسه، ص21.
[4] المرجع نفسه، ص22.
[5] المرجع نفسه، ص23.
[6] المرجع نفسه، ص23.

المجتمع الجزائري.فلم تقتصر أعمال أعضاء الجمعية على الإصلاح الديني وحده وإنما كانوا يحملون أيضا ثقافة العصر بقضاياه ومشاكله المتعدّدة، ملمّين بميادين المعرفة الإنسانية المختلفة، وقد كان التفاوت بينهم في مجال دون آخر فأحدهم نبغ في الخطابة والآخر في الشعر أو في المقال.

ومن أبرز خطباء الجمعية الإمام عبد الحميد بن باديس، ويتجلى هذا في مقولة عبد المالك مرتاض إذ يقول:"...ابن باديس لم يبرز في ناحية أدبية تبريزه في الخطابة التي يجب أن يكون أخطب الخطباء في النّصف الأول من هذا القرن في الجزائر فقد كان فارسها المعلم، وزعيمها المقدّم، وقائدها البارع في الاستحواذ على قلوب المخطوب فيهم بما أوتي من مواهب عالية في إثارة المشاعر، وإيقاظ العواطف وتهييج القلوب...كان بن باديس أخطب الناس في الجزائر على عهده، شهد له بذلك معاصروه جميعا من أعدائه وأصدقائه."[1]

يتبين من هذا القول أن الإمام عبد الحميد بن باديس كان أوحد زمانه في فن الخطابة فكان إذا تكلم في القوم هيّج عواطفهم وأثّر على قلوبهم، واكتسب هذه الملكة بفضل تعليمه القائم على الأسس الدينية" فالشيخ ابن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب، فهو قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته النّاري يستفز الجماهير، فيثير الحروب أو ينزل في القلوب سكينة السلام...إنّ الذين يسوقون الشعوب من أمثال بن باديس كانوا دائماً إلى أعلى الدرجات... لقد كان يستطيع أن يفعل ما يريد في الجموع التي كانت بالأمس تستمع إلى خطابه، كان يستطيع أن يجعل منها أسرابا من الطيور الكاسرة أو قطيعا من الخرفان."[2] فابن باديس يعد بحق باعث هذا الفن الأدبي من جديد نظرا لفصاحته وقوة بيانه الذي كان يستمد ضالته من عصور الخطابة العربية الذهبية.

ومن خطباء الجمعية الأقحاح نجد أيضا الإبراهيمي الذي يقول عنه عبد الله ركيبي:"فكان الإبراهيمي من بعده- بن باديس- أخطب الخطباء في الجزائر، وقد عمّ هذا التيار فقد كان المعلّمون ...يحاولوا أن يقلّدوا مثل هؤلاء الفحول، كما كان تلاميذ معهد بن باديس ذوي موهبة خاصة في ارتجال الكلام"[3].ولهذا اهتم علماء الجمعية بفن الخطابة وأولوها عناية بالغة لما لها من تأثير واضح على معنويات الشعب الجزائري، وكانت نتائجها المستوحاة قيّمة ويظهر هذا من مقولة محمد السّعيد الزاهري في الشهاب:" ولقد شاهدنا أن الخطابة قد تقدمت تقدما محسوساً بل تقدماً عظيماً"[4] وهذا برهان ساطع على المرتبة العالية التي وصلت إليها الخطابة زمن الجمعية بفضل جهود العلماء في هذا المجال. أيضا من مظاهر العناية بالخطابة ما كانت تنشره الصحف والمجلات من خطب لعلماء الجمعية .

[1] نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925- 1954)النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م، ص 63.

[2] الثقافة العربية الجزائرية بين التأثير والتأثر، عبد المالك مرتاض، دار الحداثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص31.

[3] نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، ص63.

[4] الشهاب، مج10، ج9، ص420.

ويعود سبب التحوّل الإيجابي التي شهدته الخطابة وقت بروز الجمعية؛ إلى الأسلوب الذي اتخذه علماء الإصلاح باعتمادهم الأول على الثقافة العربية الإسلامية واقتداءهم بهم أيّما اقتداء غير أن" الخطابة في النثر الجزائري الحديث إذا كانت قد استندت على التراث العربي القديم، وتأثرت بالأساليب العريقة فيه، حيث استخدم أصحابها السّجع أحيانا، واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر، إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة، وتحررت من الزخرف اللفظي ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى، فأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري الحديث".[1] نستشف من هذا القول أنّ الخطابة عند علماء الجمعية وإن لم تخرج عن الخطابة العربية في الشكل، إلاّ أنّ المواضيع التي تناولتها كانت مختلفة تبعاً للتطوّر الذي طرأ على المجتمع، حيث عالجت مواضيع عصرية بأسلوب واضح.

المبحث الثاني: علماء الجمعية وفن الخطابة:

1- مكانة الخطابة عند جمعية العلماء:

لقد بوأت الجمعية الخطابة مكانة عظيمة وأولتها دوراً خطيراً، وجعلت منها أكثر رسمية وتنظيماً من حيث اختيار المواضيع، التي تتناول قضايا معينة في السياسة والتعليم إلى الثقافة إلى الوطنية وأصول الدين. تأخذ في تحليلها بكل صراحة وجرأة، وتربط أسباب التقهقر في المجتمع الجزائري بالاحتلال الفرنسي، فتوجّه الجماهير وتستثيرها وتطالب وتندّد وتحتجّ وكل ذلك كان باسم جمعية العلماء . وكان هذا التنظيم في حدود الإمكانيات والوسائل وتوفّرها من مساجد ومدارس ونوادي إلى شعب الجمعية في مختلف مناطق الوطن الأم، كما أصبح للخطابة نوادي ومدارس خاصة لتعليم وتدريب الجزائريين وتشجيعهم على ولوج مجالاتها ليكونوا ألسنة دعاية صالحة لإظهار الحق وإزهاق الباطل.

وقد اكتسبت الخطابة هذه المكانة المهمة لدى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لما لها من دور مهم في الوعظ والإرشاد ولقد تمّ " عرض تقارير علمية في أهم المواضيع التي ترى الجمعية وضع تقرير فيها لينفذ من هذه التقارير مايمكن تنفيذه"[2] وأسندت ذلك إلى أعضاء مكتبها الإداري وقد أولت موضوع كيفية الإرشاد والدعوة أهمية خاصة وجعله المؤتمر في قمّة أعماله، وقد أسند وضع التقرير العلمي إلى الشيخ العربي التبسي[3] الذي قدّم عرضاً مطوّلاً جعل عناصره كالآتي:

- الإرشاد العام
- الحاجة إلى الإرشاد وتوقف الإسلام عليه.

---

[1] تطور النثر الجزائري الحديث، ص 35

[2] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص134.

[3] من مواليد 1895م بتبسة، حفظ القرآن الكريم على يد والده وتلقى المبادئ العلمية في النحو والصرف والفقه والتوحيد، تولى رئاسة الجمعية خلفاً للإبراهيمي، له رسالة بعنوان: بدعة الطرائق في الإسلام، اختطف من بيته سنة1957م وأعدم ولم يعرف أين وكيف. ينظر، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص33.

- وجوب القيام بالإرشاد شرعا.
- حالة الإرشاد قبل اليوم.
- ما ينبغي أن يكون عليه الإرشاد.

ومن ثم بيّن التبسي أنّ" كلّ أمة لها ميزاتها وخواصّها وعوائدها ودينها وشعائرها وعواطف شعبها وميول أفراده، وبأنّ هذه مقوّمات الشعوب يرثها الجيل الحاضر عن الجيل السابق عليه، فإن كان هذا الميراث عاديّاً بسيطاً سهل إرثه بالتقليد والمحاكاة والتمثّل وإن كان هذا الميراث كالميراث الإسلامي سلميّاً أخذ تعلّماً من المرشدين."[1]

والمرشد هو من يحمل العلم الصحيح ويمتلك مفاتيح السّبيل الحق لا الهوى، ومركز المرشد كمركز القلب من الإنسان إن صلح صلُح الجسد كله، وقد تضمن تقريره نداءات متكررة للعلماء المسلمين وعلماء الجمعية خاصة للقيام بهذا الواجب العظيم....في ذلك امتثالاً للإسلام وعملاً بهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله:" أيّها الإخوة تقدّموا لأداء وظيفتكم الدّينية فأنتم أصحاب الحق وأنتم ورثة نبيّكم وخلفاء أمّتكم وتحمّلوا في ذلك الأذى وكل ذي مبدأ في الحياة وعقيدة في الدّين."[2] ويضع صاحب التقرير شروطاً يجب توفرها في المرشد الخطيب :

أ- إنّ المرشد يدعو الناس إلى العمل بالدّين الإسلامي، والإسلام هو مجموعة عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وآداب، وكلّ هذه محفوظة في الكتاب والسنّة، فعليه أولاً الالتزام بما جاء به ثمّ باجتهادات علماء الإسلام، ثم التزامه عند الإرشاد بالدّقة والبرهنة وذلك بذكر "اسم المشرع الحقيقي ثم الرسول الأمين المبلغ صلى الله عليه وسلم، ثم الصحابي الراوي ثم الإمام العدل الناقل ثم الفقيه المستدل."[3]

ب- على المرشد أن يكون عالما بالقرآن الكريم وعلومه، وعلوم السنة وعلوم اللغة العربية لغة الإسلام بقوله:"فمن لا اطّلاع له على كتب السنة ولا غيرة له بأقوال علماء السّلف لا يصح أن يعد من ورثة الأنبياء.[4]

ج- المرشد كالطبيب الذي يداوي النفس المريضة وذلك بتحديد الدّواء المناسب للعلاج، وعليه سيعمد إلى المرض ليقتلعه من مصدره، وعليه فيجب على المرشد أن يكون على بصيرة من مقاصد الدين، كما ذكر ذلك العربي التبسّي أن أكثر سكان الجزائر أميّون، ولكنهم على كثرتهم يسهل انقيادهم للحق لأن قلوبهم لم تؤثر فيها مبادئ البدعيين، ولا يحتاج هؤلاء إلاّ إلى مرشد مصلح مخلص يخبر عن حقّ ويدلّ على صواب ويدعوا إلى ربّه.

د- "على المرشد أن يهذّب نفسه ويحاسبها في يومها وليلها ويعرض أعماله وأخلاقه وآدابه على أصول الدين وفروعه، وسيرة أئمة الإسلام الذين بهم وصلنا هذا الدين...حتى تكون مواعظه مقبولة للعامة ولها أثرها الحسن ونتائجها الطيّبة ومفعولها العاجل"[5]، ويحذّر الإمام بن باديس الخطباء بقوله:"فحذار أيها المؤمن من أن تكون

[1] سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ص138.
[2] المصدر نفسه، ص141.
[3] المصدر نفسه، ص145، 146.
[4] المصدر نفسه، ص146.
[5] المصدر نفسه، ص148.

مثلهم إذا وقفت خطيباً في الناس، وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية إلى ما أحدثه المحدثون"[1] الذين يخطبون خطباً مسجوعة طويلة ولا يراعون فيها شيئاً من أحوال الحاضر وأمراض السّامعين فإن ذلك يعد سدّاً لباب عظيم من أبواب الإسلام، وتعطيلاً لركن مهمّ وهو الوعظ والإرشاد.

ويشير بعد ذلك قائلا:"فعلينا أن نلتزم الحكمة جهدنا حيثما دعونا، ونقتدي بأساليب القرآن والسنة في دعوتنا فيما يحصل الفهم واليقين، والفقه في الدين والرغبة في العمل والدوام عليه، وها نحن قد بلغ بنا الحال إلى ما بلغ إليه من الجهل بحقائق الدين، والجمود في فهمه، والإعراض عن العمل به، والفتور في العمل، فحقّ على أهل الدعوة إلى الله أن يقاوموا ما بنا من جهل وجمود وإعراض وفتور بالتزام البيان للحقائق العلمية بأدلتها، والعقائد ببراهينها والأخلاق بمحاسنها، والأعمال بمصالحها"[2] وبهذا يتبين الطريق الذي يجب على الخطيب المرشد إتباعه والسير فيه، وتوضيحه إلى من حلّ به الجهل فابتعد عن السبيل السوي والمنهج القويم.

ولما كانت الخطابة ألصق الوظائف بالجماهير، وأداة لا يمكن الاستغناء عنها للتوجيه الصحيح، لم يملّ علماء الجمعية بالتذكير والتحصين حتى تبقى تعاليم الدين حيّة في القلوب ومرتبطة أسبابها بواقع الجزائريين، وهدف جمعية العلماء من ذلك هو أن يعيدوا إلى هذه الوظيفة حقيقتها ومكانة أصحابها الذين يقول فيهم الإبراهيمي أنّهم:"كانوا ملوكاً على الملوك، واقفين لهم بالمرصاد، لا يقرّونهم على باطل، ولا يسكتون لهم على مخالفة صريحة للدين، ولا يتساهلون معهم في حق الله، ولا يترضونهم فيما يسخط الله".[3]

يستدل من هذا القول على المكانة الجليلة للخطابة والخطيب عند الناس عامة، وعند جمعية العلماء خاصة في الوقوف في وجه الباطل والمخالفين للحق وأصول الدين ولو كانوا ملوكهم وأمراءهم، فإن ذلك لا يمنعهم من إقرار الحق والتصدي لما يخرج عن شرع الله ومنهاجه.

2- أهداف الخطابة عند جمعية العلماء:

بالنظر للدور الذي تقوم به الخطابة من تهييج للقلوب وتأثير على العقول، فإنّ الجمعية سخّرتها كوسيلة ناجعة لإصلاح الشعب، وإرجاعه إلى مبادئ الدين الحنيف، ومن بين هذه الأهداف ما يلي:

أ- إحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

لما أراد علماء الجمعية البداية في الدعوة إلى الإصلاح وتأسيس الجمعية وعلى رأسهم عبد الحميد بن باديس، وجدوا أنفسهم أمام مهمّة صعبة وعسيرة وأمام شعب "فقير في دينه ودنياه، جاهل بدينه ودنياه، مفلس من عقله وفكره مسلوب من عزيمته وإرادته، ولكن بقي فيه مكمن لم تمتد إليه يد الاستعمار، وهو مكمن الإيمان بالله

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،1982م، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص 68.

[3] آثار الإبراهيمي، ج4، ص112.

وبالنفس، والعلاقة باللغة والجنس ومن ثمة وعلى هذه المعاني وضعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أساس أعمالهم ومن هذه النقطة بدأت السير إلى غايتها."[1]

يتبادر للذهن عند قراءة هذا القول ما كان يعيشه الجزائري آنذاك من فقر مدقع، جاهل بأمور دينه ودنياه، فلا هو ذو مال يعيش بماله حياة طيبة، ولا هو ذو فكر في دينه وعصمة أمره حتى يعبد ربه حق عبادته ويؤمن به. وهو ما لم تطله يد الاستعمار كما يشير إلى ذلك الإمام الإبراهيمي في هذا القول ، فكانت هذه نقطة البداية بالنسبة لعلماء الجمعية بإحياء لغة الاسلام وبعثه وتثقيف وتعليم الشعب الجزائري.

وقد كانت أول اهتمامات العلماء الخطباء، إحياء الدين بإحياء مبادئه وشعائره وآدابه وسننه، إذ يقول الإمام عبد الحميد بن باديس في خطاب ألقاه في نادي الترقي" إنّ جمعيتكم تفخر بأنها قامت بإحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت قلّ فيه القائمون بهاتين الفريضتين... وقامت بإحياء هدي سلفنا الصالح في وقت طغت فيه البدع والأهواء على ذلك الهدي حتى خيف عليه الاندثار وأنّ أول من رفع صوته بكلمة الحق في هذا الوطن وبلزوم الرجوع من بنيات الطريق إلى نهج الإسلام الواضح وبوجوب التماس الهداية من كتاب الله وما صحّ عن سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وما أثر عن سلف هذه الأمة – رضي الله عنهم– هم رجال هذه الجمعية قبل أن تكون هذه الجمعية جمعية فلهم الفضل يوم كانوا فرادى مستضعفين، ولهم الفضل يوم مدّوا أيديهم إلى بعضهم فأصبحوا أقوياء متعاونين، وللأمة الفضل يوم سمعت نداء الحق فاستجابت، ولها الفضل يوم تشابهت السّبل فما سكتت وما استرابت، ولها البشر من الله حين غاب المخلّفون عن مشهد الحق فما غابت."[2] إنّ هذا القول لشاهد على أن الخطابة كان لها دور كبير عند جمعية العلماء، وهدفها الأسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى المنهاج الحق والطريق والصراط المستقيم، فقد أوفت واستوفت في هذا المجال.

ب– محاربة الأمية والجهل وتعبئة الجماهير لصالح التعليم: لقد أسهمت الخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وقامت بدور فعّال في محاربة الأمية ونشر التعليم عن طريق الخطب المنبرية والمحاضرات والدروس العامة وحتى عن طريق اللقاءات الخاصة، ونظرا لخطورة هذا الداء – الأمية– كانت المرحلة التمهيدية مرحلة نشيطة، إذ يصف الإمام الإبراهيمي هذا الداء ب:"شلل الأمم، وبأن تفشّيها في الأمة الجزائرية هو الذي أقعدها عن مجاراة الأحياء في الحياة وهو أقوى الأسباب التي مكّنت الاستعمار...حاربت جمعية العلماء هذا الدّاء الوبيل، وشددت العزائم على حربه وفتحت دروسا ليلية للكبار، لا تزاحم البرامج المقرّرة، وعمّمت تلك الدروس بالتدرج في نواديها وكثير من مدارسها."[3] ولقد انتشر هذا الدّاء في الأمّة الجزائرية وشلّ كيانها وغيّر من فكرها، ولكن مع

[1] المصدر السابق، ج4، ص163.

[2] آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، الجزائر، ط1، (1388هـ/1968م) مج2، ج1،ص 524، 525.

[3] آثار الإبراهيمي، ج4، ص172.

بروز الجمعية وتفطّنها للخطر الذي يقوم به من تغير في المسار الصحيح باتباع الهدي النبوي، أخذت في محاربته للقضاء عليه واسترجاع الوعي الوطني.

وقد كانت الرحلات من أهم الذرائع التي واكبها رئيس جمعية العلماء المسلمين لإلقاء المحاضرات والدروس والخطب العامة التي كانت تحث على التعليم والاتحاد وضرورتهما، إضافة إلى نشر الإصلاح والإشهار لجمعية العلماء المسلمين، وقد لخّص ابن باديس ذلك بقوله:" وكان الحديث حيثما حللنا يدور على جمعية العلماء ومقاصدها ومنافع الأمة منها والتنويه بفضل الحكومة بالإذن بتأسيسها، مع ما يتخلّل ذلك من تذكير بالله وتنبيه على مصالح الدنيا والآخرة، وتحريض على التآخي والتآزر وحسن الجوار والمعاملة مع جميع الأجناس المتساكنة في هذا الوطن."[1]

ج- مواضيع الخطب والدروس أثناء الرحلات: لقد تناولت الخطب التي كان يلقيها أعضاء وخطباء الجمعية عدة مواضيع ولكن القصد الوحيد منها أساسا هو"القيام بفرض التذكير"[2] ومعنى التذكير هو تذكير بآيات القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، من خلال الشرح والتفسير واتخاذ العبرة والاقتداء، كما هو تعليم لمبادئ الإسلام وأخلاقه وتعاليمه السّمحة، باتباع الرسول في أمور الدّنيا والدّين، ومن جهة أخرى لم ترتبط الخطبة الدينية كونها تلقى في المساجد من على المنبر يوم الجمعة، ولكن علماء الجمعية استغلوا الخطبة في الساحات العامة والأسواق وبيوت العلماء وساحات المدارس وقاعات الحفلات وغيرها، حتى وإن كان المكان ضيّقاً فهذا لا يمنع من إلقاء خطبة أو تقديم درس.

3- أنواع الخطابة عند جمعية العلماء:

يمكن القول أن خطباء الجمعية قد تناولوا معظم أنواع الخطب، ولكن بتفاوت بين نوع وآخر نظراً للأهمية التي يحملها كل نوع ومدى تأثيره وإبلاغه للرّسالة الإصلاحية، ومن أبرز هذه الأنواع:

أ- الخطبة الإصلاحية: لقد توسّع استعمال الخطبة الإصلاحية في عهد الجمعية، نظرا لاستعمالها في التعليم والوعظ والإرشاد والصحافة، ولهذا فقد عرف نادي الترقي عدة خطباء يستعملون اللغة العربية الفصيحة والارتجال في الكلام منهم الطيب العقبي وابن باديس وأحمد توفيق المدني إضافة إلى وعّاظ ومدرّسين من أمثال أبي يعلى الزواوي والعربي التبسّي ومبارك الميلي وأحمد سحنون وغيرهم[3]، فهؤلاء المصلحون قد أخرجوا هذا النوع من الخطابة "من موضوع الاستنهاض والسّلفية إلى الموضوعات الاجتماعية كالفقر والغنى والتكافل والتضامن والمرأة والتعليم، والموضوعات الوطنية كتاريخ الجزائر والعرب والإسلام والاستعمار واستقلال الشعوب وحريّتها"[4] وقد استعمل هذا النوع بكثرة نظراً لحاجة المجتمع للخطب الوعظية الإرشادية التي ألقيت وقتئذ.

---

[1] الشهاب، مج7،ج11، ص725،726.

[2] المصدر نفسه، مج5، ج6، ص 311.

[3] ينظر، المصدر نفسه، ص107، 108.

[4] المصدر نفسه، ص 108.

ب- الخطبة الدينية: ويأتي هذا النوع في مقدّمة الأنواع الأخرى من حيث كثافة الاستعمال واستمراره عند علماء الجمعية، حيث ارتبط بفترة التعبئة الجماهيرية الواسعة التي تقتضي التركيز والتكرار والتنويع، فمن الناحية الدينية والتربوية مثلاً ألقيت عديد الخطب التي تعالج واقع الناس وتحاول بناء الإنسان الجزائري بناءا متكاملا[1]، وكل هذا تضمن ذلك الأسلوب المؤثّر الذي يحقق الاستمالة والإقناع من أجل استرجاع الذّات الوطنية ومكوناتها، وقد ركّز علماء الجمعية وخطباؤها على إحساس الشعور بالانتماء وتعميق الإحساس به واقعياّ عن طريق المواضيع التي تربط حاضر الأمة بماضيها وانتمائها إلى الدّين الإسلامي الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى لها.

ج- الخطبة الرسمية والتقارير الإدارية: يمكن أن نطلق عليها المؤتمرات الرسمية التي كانت تعقدها الجمعية حرة كل سنة جرياً على قانونها الإداري لتعرض تقاريرها حول ما قامت به من مشاريع وكان نادي الترقي أول مقر يحتضن هذه الخطبة وما يلاحظ على هذه الخطب:

- دقّة التنظيم وصفة العلمية، المبنية على ذكر القوائم والأرقام.
- اختصاص أعضاء معينين لإلقائها.
- أنها كانت لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- شموليتها لأنها كانت تمثل جميع الأمة الجزائرية.

د- الخطبة السياسية: فمع فقدان جمعية العلماء إلى الحصانة والطوق الذي فرضه الاستعمار عليها، أخذت خطبها السياسية تخضع لمعطيات معيّنة لا تنبغي تجاوزها، لأن الإدارة الفرنسية كانت تلتمس أدنى الأسباب لتصدر القرار بإغلاقها وتصادر مجلاتها وجرائدها، وتغلق مدارسها ومساجدها، فكانت هذه الخطبة تتماشى مع مراحل وأولويات أنشطتها، كما كان يتطلب منها ذلك وضع المرونة والحذر، ومن" المناسبات السياسية التي ظهروا فيها وألقوا خلالها بخطبهم إلى الجمهور، هي المؤتمر الإسلامي ولواحقه سنة 1936م، وقد ظهر فيه ابن باديس والعقبي والإبراهيمي بشكل واضح"[2].

والراجح أن علماء الجمعية قد بدأوا في المطالبة بالحقوق السياسية والمدنية، كذلك من المناسبات التي أخذت الصبغة السياسية في" انعقاد ندوة جبهة الدفاع عن الحرية سنة 1952م. وقد خطب فيها الشيوخ: العربي التبسي ومحمد خير الدين وأحمد توفيق المدني...وكان الشيخان التبسي والمدني من المرتجلين للخطب، ويغلب على الأول الطابع الديني والاجتماعي، وعلى الثاني الطابع السياسي...وكانت الموضوعات عند الخطباء المذكورين وأمثالهم هي السياسة العامة، والحقوق، والمظالم، والتربية والتعليم، وإحياء الأمجاد، والإشادة بالعرب وأبطال المسلمين، والدفاع عن العربية والإسلام".[3] يتبين من خلال هذا القول السبيل إلى النشاط السياسي عند الجمعية بدأ بمرحلة المقاومة السياسية بالمطالبة السلمية للحقوق المدنية والاجتماعية والسياسية لمقومات الشعب والأمة.

---

[1] ينظر، الخطابة في النثر الجزائري الحديث، ص160.

[2] تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص116.

[3] المرجع نفسه، ج8، ص 116.

4- خصائص الخطابة عند علماء الجمعية:

أ- الالتزام: إن الأنواع الأدبية تختلف فيما بينها في درجة الالتزام وتعد الخطابة من" أشد الأنواع الأدبية التزاماً، لأنها تهدف أبداً إلى التأثير والإقناع...تشتد باشتداد الأزمات التي ترتبط ارتباطاً جذرياً بمصير الجماعة وتقرير مستقبلها"[1] والالتزام هو:"حزم الأمر بالوقوف على قضية سياسية أو اجتماعية أو فنية، والانتقال من التأييد الداخلي إلى التعبير خارجياً عن هذا الموقف بكل ما ينتجه الأديب أو الفنان من آثار."[2] وقد ارتبط مفهومه إلى حد بعيد بمفهوم الأدب نفسه، ومدى علاقته بالحياة وبالدور الذي يقوم به الأدب في توجيه هذه الحياة. وقد قامت الخطابة الجزائرية على الالتزام الكامل بقيّم المجتمع فخطاب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإمام عبد الحميد بن باديس الذي ألقاه في الاجتماع العام بنادي الترقي تحدث فيه عن انشغالات الأمة التي كانت تهم علماء الجمعية إذ يقول:"إن جمعيتكم جمعية علمية دينية تدعو إلى العلم النافع ونشره وتعين عليه، وتدعو إلى الدين الخالص وتبينه...فوظيفتها هي وظيفة المعلم المرشد الناصح في تعليمه وإرشاده."[3] وهذا دليل على أن الجمعية كان هدفها الأسمى الدعوة إلى العلم النافع واتباع المنهاج القويم.

ب- الواقعية: من خصائص الأدب أنه يصف ما هو موجود فعلا، فهو وسيلة لا غاية ولذا فعليه أن يتحلى بنظرة جماعية، إذ هناك تفاعل متبادل بين الأدب والمجتمع الأمر الذي يجعل مستقبل الأدب مرتبطاً بمستقبل المجتمع. ولقد قامت الخطابة الجزائرية بتأدية رسالتها على أكمل وجه بفضل واقعيتها بتناول مختلف قضايا ومشاكل المجتمع، وقد عاش خطباء الجمعية هذا الواقع المر وتأثروا بأحداثه وتابعوا باهتمام قضاياه، وخاصة الإمام عبد الحميد بن باديس فقد تحدث كثيراً عن الواقع الجزائري في خطبه، ونقل لنا صورة حية عن معاناة ذلك الشعب في سبيل تحقيق حريته والقهر الذي تعرض له فيقول عن جور الإدارة الفرنسية "فأوصدت المساجد في وجوه العلماء، وشحّت برخص التعليم العربي القرآني، وأعملت أصابعها في شؤون المساجد ورجالها والجمعيات الدينية، وإعطائها بواسطة من لا يدينون بالإسلام ولا يشعرون شعوره ولا تهمّهم مصلحته."[4] فالسلطة الفرنسية أرادت القضاء على كل المراكز التعليمية قصد فرض تعليمها و نشر ثقافتها، إذ عرفت مكمن القوة وأرادت محوه.

ج- اللغــة: هي وسيلة لا استغناء عنها في هذه الحياة فهي بمثابة الرابط بين أفراد المجتمع، وعلاقتها بالعمل الأدبي علاقة وطيدة فهما وجهان لعملة واحدة، إذ هي الوسيلة الوحيدة في التعبير والإبداع.

السهولة والمباشرة: كانت لغتهم سهلة ومباشرة إذ همهم توصيل آرائهم والوقوف على المقاصد مباشرة، لذا فقد تعاملوا معها تعاملاً مباشراً، فمثلا الشيخ البشير الإبراهيمي يقول في خطاب ألقاه في الاجتماع العام الخامس للجمعية أنها" نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعوتها إلى الأخوة الإسلامية الحقيقية...وبأنها

---

[1] قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1979م، ص40،41.

[2] المعجم الأدبي، ص31.

[3] آثار ابن باديس، مج2، ج1، ص525.

[4] المصدر نفسه، مج2، ج1، ص549 .

أفلحت في تربية الأمة على عدم الخوف إلا من الله والرهبة إلا منه...وفي تربيتها على تقدير الكفايات وتقديم الأكفاء لشؤونها العامة، وفي إرشادها إلى وجوه البذل المشروعة المعقولة بعد أن كانت تبذر أموالها فيما يضر ولا ينفع ..."[1]

د- الأسلـــوب: يتفرد كل أديب بأسلوبه الخاص، وطريقة فنية يتبعها في التعبير عما يجول في ذهنه فتأتي العبارة منظمة تنظيماً خاصا بحيث ينقل أفكاره بوضوح ليؤثر في المتلقي.

الوضوح : يتسم أسلوب الخطابة الجزائرية بسهولة العبارة ووضوح المعنى لأن فهم المعنى أساس للإقناع والاستمالة، هذا الإمام ابن باديس في خطبة له يتحدث فيها عن موقف الجمعية من الحكومة:" أما موقفها من الحكومة فهو المطالبة والاحتجاج من ناحية الجمعية ... والإعراض من الناحية الأخرى، ولقد كتب في خطاب السنة الماضية علقت رجاء الجمعية على الحكومة الشعبية وحسنت الظن بها، وأنا أعلن اليوم – مع الأسف المر – خيبة ذلك الظن ووهن ذلك الرجاء فحسبنا إيماننا بالله وثقتنا بأنفسنا فذلك – والله- أجدى لنا وأعون بالخير علينا."[2] ففي هذا الخطاب وضوح تام وسهولة بالغة دونما تكلف في اللفظ موضحا إعراض الحكومة الفرنسية عن مطالب الأمة الجزائرية وتجاهلها.

الموسيقى: إن الخطابة تتميز بجرس موسيقي مختلف عن الفنون الأدبية الأخرى، فهو خفيف على اللسان، حسن الوقع في الآذان وذلك بانسجام الحروف والكلم. فائتلاف الكلمات وتناسق العبارات وتلاؤم الفقرات يضفي غلى الأسلوب رونقا خاصا يستميل القارئ ويستهويه، ويظهر هذا جليا في خطبة الإمام ابن باديس ومنها قوله:" أما بعد: فسلام عليكم يا أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أجمعين ، وسلام على مساجينكم في المساجين وسلام على متهميكم في المتهمين، وسلام على منكوبيكم ففي المنكوبين، سجون واتهامات ونكبات ثلاث لا تبنى الحياة إلا عليها ولا تشاد الصروح السامقة للعلم والفضيلة والمدنية الحقة إلا على أسسها، فاليوم وقد قضى الله للجمعية بهذه الثلاث- أثبتت الجمعية في تاريخ الإسلام وجودها، وسجلت في صحيفة الخلود رسمها، ونقشت في قلوب أبناء المستقبل اسمها، وبرزت في ذلك كله أسماء أولئك المسجونين والمتهمين والمنكوبين نجوما متألقة تأخذ بالأبصار."[3]

إثارة الشعور:إن هذه الخاصية تتصل بالتأثير في المتلقي وذلك باستثارة كوامن الرغبة فيه وبأنه يتحمل مسؤولية كبيرة اتجاه الواقع الأليم الذي يعيشه فهذا من مقاصد الخطابة، وتظهر هذه الخاصية عند خطباء الجمعية خصوصاً فهذا ابن باديس يقول:" ...فتدبروا أيها المسلمون في هذا السر العظيم، ومرّنوا أنفسكم على التضحية في كل وقت في سبيل الخير العام بما تستطيعون، ولا تنقطعوا عن التضحية ولو ببذل القليل، حتى تصير التضحية خلقا في كل

[1] آثار الإبراهيمي، ج1، 286.

[2] آثار ابن باديس، مج2،ج1، ص558.

[3] المصدر نفسه، مج2، ج1، ص561.

حين..."[1] إنّه قول شامل عن التضحية في سبيل الحق، إذ انتقل من ذبح الأضحية إلى التضحية من أجل نهوض هذه الأمّة وجعل من التضحية خلقا جليلا لا يمكن الاستغناء عنه ولو ببذل القليل.

هذه أهم خصيصات الخطابة عند أبرز علماء الجمعية، وسنتطرّق في الفصل الثاني إلى عالم من علمائها وهو الخطيب أبو يعلى الزواوي مترجمين له مع وضع بعض من النماذج التطبيقية عن خطبه.

[1] المصدر السابق، مج2، ج1، ص530.

الفصل الثانـــــــــــــــي: أبو يعلى الزواوي خطيباً

المبحث الأول: ترجمة أبي يعلـــــــى الزواوي

1- مولده ونشأته.

2- شخصيّته.

3- أعماله ومؤلّفاته.

4- الخطابة عند أبي يعلى الزواوي.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من خطبه مع التحليل.

1- الخطبة الأولى: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

2- الخطبة الثانية: في الإصلاح.

3- الخطبة الثالثة: في الاجتماع.

4- الخصائص الفنية لفن الخطابة عند أبي يعلى.

بعد تناولنا للخطابة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمكانة التي أولتها لها، لما لها من بعيد الأثر في قلوب الجزائريين، إضافة إلى أنّ لها الفضل في إحياء اللغة العربية وإرجاعها إلى ما كانت عليه بعد التقهقر الذي أصابها وما آلت إليه من جمود في شتى التخصصات، بسبب السّياسة المنتهجة للإدارة الفرنسية والتي أرادت تجريد الجزائريين من كلّ ما يجعل منهم أعداءاً لمخطّطاتها وإن كان ذلك على حساب لغتهم ودينهم وعربيّتهم.سنحاول في هذا المبحث التعريف بأحد من كبار الخطباء المصلحين، الذين جاهدوا بكل ما أمكنهم للدّفاع عن مقوّمات وطنهم وشعبه إنّه الشيخ الخطيب أبو يعلى الزواوي.

المبحث الأول:ترجمة أبي يعلى الزواوي:

1- مولده ونشأته:

هو الشيخ السعيد بن محمد شريف أبو يعلى الزواوي، المعروف بأبي يعلى الزواوي، ينتهي نسبه إلى قرية (تفريث آت الحاج) الموجودة بين إعكوران وأزفون في (تيزي وزو)، ولد سنة 1862م بمنطقة إغيل أنزكري قرية تعاروست، أين كان والده إماماً ومدرّساً للقرآن الكريم، ويرجع نسبه إلى الأشراف الأدارسة.

تلقى تعليمه الأول على يد والده، وتوّج ذلك بحفظه للقرآن الكريم كاملاً وهو ابن الثانية عشر، انتقل بعد ذلك إلى زاوية سيدي عبد الرحمن الأيلولي الواقعة بمنطقة عزازقة، وقد زاول بها التكوين ليتخرج منها وقد شدّ عضده وتمتّن تكوينه، وفي شبابه دخل السجن وحكم عليه بسبع سنوات إثر عراكه مع شخص اعتدى على والده انتهى بهلاك خصمه، ولكن تم الإفراج عنه بعد ثلاث سنوات لحسن سلوكه، وقد كان هذا من أهم الحوادث التي ساهمت في تكوين شخصيته، لأن إقامته بالسجن كانت بمثابة تجربة عابرة وذلك بتعلمه للغة الفرنسية على يد مدير السجن الذي أدرك سعة اطلاع الشيخ وذكاءه وشدّة تمكنه من علوم اللغة فعقد معه اتفاقاً بأن يعلّمه اللغة العربية مقابل أن يعلّمه اللغة الفرنسية، فوجد في ذلك أبو يعلى تجارة مربحة لمجابهة العدو بلغته.

وبعد الإفراج عنه بسنوات يحصل على وظيفة لدى الإدارة الفرنسية، والتي أرادت بذلك استعماله لتحقيق أهدافها وتثبيت يدها على أرض الجزائر. فكان قيامه بعمله على أكمل وجه سبباً في تعيينه كاتباً في القنصلية الفرنسية بدمشق، من أجل إقناع النخبة الجزائرية هناك بالتجنس بالجنسية السورية وعدم العودة إلى الجزائر خشية تسرب الأفكار التحررية التي ظهرت ببلاد الشام إلى الجزائر، لكن الشيخ لم يؤمن يوماً بالأفكار الاستعمارية وظلّ

متمسّكاً بمقوّمات دينه ووطنه، وجعل من هذا المنصب مدفعاً يضرب به عدو الجزائر، فأخذ في بثّ الوعي الأدبي والسياسي والثقافي القومي وحث الجزائريين على ضرورة العودة إلى أرض الوطن.[1]

انتقل إلى مصر لاجئاً في أوائل الحرب العالمية الأولى لأنّه كان مناصراً للقضية العربية ضدّ الأتراك، عاد إلى الجزائر سنة 1920م، فاشتغل بالتعليم والوعظ وهو ممن حارب الخرافات والبدع [2] ومن أبرز شيوخه والده محمد الشريف الذي أخذ عنه الفقه والقراءات والنحو، والشيخ محمد بن سعيد بن زكري خطيب مسجد سيدي رمضان بالجزائر العاصمة، الذي كان مفتياً للجزائر، والشيخ محمد بن بلقاسم البوجليلي الذي كان من أبرز رجال الإصلاح بمنطقة زواوة.[3] هؤلاء هم أبرز من تأثّر بهم ونهل من علمهم حتى استوى على سوقه.

توفي في الثاني من جوان 1952م إثر مرض عضال، ودفن بزاوية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي.[4] فالشيخ أبو يعلى الزواوي عاش حياة مليئة بالعلم والمعرفة فاكتسب هذه المكانة العظيمة نتيجة نشأته الدينية القويمة وكذا احتكاكه بالعلماء والإصلاحيين في الشام ومصر وحين عودته إلى الجزائر.

2- شخصيته:

تقلّد وظائف عديدة؛ كتوليه رئاسة اللجنة الدائمة، ولجنة الفتوى في جمعية العلماء المسلمين والإمامة، هذه المناصب جعلت منه داعية من دعاة الإصلاح، وخبير في علمي التاريخ والاجتماع حتى أن العلامة ابن باديس لقبه بإمام المصلحين[5] اعترافاً له بالجهود التي بذلها في مجال الخطابة الإصلاحية فكانت "شخصيته ترفض الرضوخ والانقياد، ولعلّ للبيئة القبائلية التي ترعرع فيها أثراً واضحاً في ذلك، إلى جانب تكوينه الديني المتين المتبصّر، وكان في كل مرحلة من مراحل تطور شخصيته، الرجل المعتدل، المتحرّر من سيطرة الخرافة والشعوذة، وقف في وجه التطرف الديني والتزمّت الفكري، أدعياء الباطنية والمرابطين الشرفاء والطرقية المنحرفة عن الإسلام الصحيح"[6] ويستشف من ذلك أن شخصية أبي يعلى متبصّرة ثائرة وغيورة على معالم الإسلام الصحيح وضوابطه بصدق مع

---

[1] ينظر، تاريخ الزواوة، أبو يعلى الزواوي، مراجعة: بوراي إسماعيل، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008م، الصفحات 9- 11، 12، 13.

[2] ينظر، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، (1400هـ/1980م)، ص 164.

[3] موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 164.

[4] خطب أبي يعلى الزواوي، بقلم أبي يعلى الزواوي، اعتنى بها: عادل بن الحاج همّال الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، (1429هـ/2008م)، ص32.

[5] ينظر، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص 47.

[6] تاريخ الزواوة، ص 16.

الله بعيداً عمّا هو خارج عن الدين، وكلّ ما من شأنه المساس بشرع الله، فكانت شخصيته فذة متزنة لا تقبل الانصياع لعملاء التطرّف الفكري الذين تغلغلوا في المجتمع ببسط هيمنتهم المادية وسياستهم التبشيرية.

وقد حذر من عواقب التعصّب الديني حيث دعا إلى الاعتدال في النوايا والأعمال بقوله:" ومن الغريب أن يوجد قوم من الشبان المتحمسين يذهبون إلى أن الإصلاح الإسلامي لا يتأتّى للمصلحين ما لم يقوموا بتأليف جمعيات ثورية تسعى في قلب المجتمع الإسلامي رأساً على عقب، ثم يعودون وينشؤونه خلقاً جديداً، ومن لطف الله أن كان هذا الرأي قاصراً أو مقصوراً على ذوي الأمزجة العصبية الشاذة وهم قليلون في شبابنا المتنورين..." [1]

إن هذا القول لشاهد على نبذ التعصب الديني والفكري من قبل الإمام الزواوي وهو يدعو الشباب المسلمين إلى الطريق الصحيح لإصلاح التمزق والتشتت الذي أصاب المسلمين.

فقد كان جاداً مترفعاً عن كل ضغينة وحقد ساع في توجيه المسلمين إلى العمل عن طريق الشرع وعدم الابتعاد عنه، "وأن نرفع من شأن العمل قليلا فلا نزعم أن المسلم ينجو بمجرد أقوال يرددها وتقاليد يبطنها أو حركات يأتي بها، بل المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده بالفعل، وعمل الأعمال التي حث عليها الإسلام وتخلق بالأخلاق التي أمر بها، وإلا كان الدين دعاوى فارغة وألفاظاً مهملة أو يقال كان الدين عبثاً أو الوحي سدى."[2] إنّها شخصية تفرض نفسها بموجب العمل الإلهي الحق واتباع الهدي النبوي المبارك، وعدم الخمول في سبيل الدعوة والإرشاد إلى المنهاج الصحيح والشرعة الحقة.

ولقد كان لرحلاته الكثيرة بين عديد البلدان بالغ التّأثير في شخصيته ووجدانه وفكره، من خلال التعرّف على مختلف الشخصيات النابغة في شتى الميادين وخصوصا الأدبية منهاً والدينية، وهذا ما أعانه على تكوين شخصيته الفذة، فلقد زار بلداناً كثيرة منها: مصر والبقاع المقدسة وفرنسا ودمشق، كما عاش أحداثاً هامة منها الحرب العالمية الأولى والثانية، وقد عانى وكابد مثل كل الجزائريين الغيورين على وطنهم ظلام الاستعمار الغاشم والذي أراد أن يجعل منه عميلاً يساعد في إطفاء القلوب الجزائرية المتأججة والمتحمسة لتحرير الوطن، لكن شخصيته الوطنية وانتماءه الإسلامي جعلا منه العدو الأول للإدارة الفرنسية.

3- أعماله ومؤلفاته:

بحكم ثقافته المزدوجة إن صح التعبير وبحكم معرفته بعلوم العربية وتعلّمه للغة الفرنسية، وبعد خروجه من السجن كما ذكرنا تحصل على وظيفة في الإدارة الفرنسية بمساعدة من الشيخ محمد سعيد بن زكري مفتي الجامع

[1] المصدر السابق ، ص16

[2] المصدر نفسه، ص 16.

الأعظم آنذاك. ثم بعد ذلك عين كاتباً في القنصلية الفرنسية بدمشق وعمل بها إلى حوالي سنة 1915م، وقد أغرته الإدارة الفرنسية ووعدته بمنصب الإفتاء بعد العودة إلى الجزائر شريطة أن يقوم بإقناع الجزائريين القائمين هناك بالتجنس بالجنسية الســـــورية.[1]

ومن خلال إقامته في سوريا تعرف على عديد الكتاب والأدباء والسياسيين والصحفيين وأقام علاقة مع الكثير منهم، ونظراً لاتساع فكره ومعرفته ساهم في نشر بعض من مقالاته في بعض الصحف والمجلات العربية، كما طبع أحد كتبه في مطبعة محب الدين الخطيب والذي كانت له علاقات طيبة وصلات حميدة بينه وبين إخوانه من الجزائريين كالعقبي وابن باديس والإبراهيمي.[2]

ومن ثم انتقل إلى القاهرة بسبب وقوع الحرب العالمية الأولى وهناك التقى بالشيخ طاهر الجزائري ومجموعة من إخوانه الجزائريين، فكثّف نشاطه وكرّس جهده للدفاع عن قضية الوطن الأم، كما واصل مشاركته في تحرير المقالات معرفاً بالجزائر وبقساوة الأوضاع التي يعيشها المواطن، حيث نشر بعضاً من مقالاته في جريدة "البرهان" التي كان يصدرها الشيخ عبد القادر المغربي وأخرى في المجلة السلفية بمصر أيضا.[3]

وبعد عودته إلى الجزائر شارك بنشر مقالاته في عدة مجلات وجرائد منها: صحيفة صدى الصحراء التي كانت تصدر ببسكرة. ومن الوظائف التي شغلها تعيينه إماما بمسجد سيدي رمضان بالجزائر العاصمة وتولى فيه الخطابة من سنة 1920م حتى سنة 1952م وهو نفس تاريخ وفاته.[4]

ترك الشيخ عدة آثار ومؤلفات ضمنها ما كان يؤمن به من أفكار، وما كان يطمح إليه من خدمة لدينه وعربيته، وقد حوت ذلك البعد العميق في فهم قضايا الأمة عامة ومن بينها:

"الإسلام الصحيح": الذي طبع في مطبعة المنار سنة1345هـ بعد رجوعه إلى الجزائر، وله أيضاً "جماعة المسلمين": وهو عبارة عن رسالة مطولة في شأن جماعة المسلمين ومعناها في الفقه المالكي في أصلها من الأحاديث الصحيحة، وله: "تاريخ الزواوة" الذي نشره بدمشق سنة 1924م بعد أن وضع خطوطه العريضة في مشروعه سنة 1912م، وكان تأليف هذا الكتاب رداً على الفرنسيين الذي كانوا يتحدثون عن قابلية أهل زواوة للاندماج في الحضارة والمجتمع الفرنسيين، وقالوا أنهم أقرب إلى التقدم في المقاييس الفرنسية من العرب والبربر

[1] ينظر، المصدر السابق، ص 12.

[2] ينظر، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 600.

[3] ينظر، المرجع نفسه، ج7، ص 933.

[4] ينظر، المرجع نفسه، ج8، ص 122.

الآخرين[1] وهو ما جعله يؤلفه ربما لتذكير البربر بأصلهم وعدم الانسلاخ والذوبان في الحضارة الفرنسية. ومن كتبه أيضاً كتاب " الخطب" جمع فيه بعض خطبه وكان ذلك سنة 1343هـ/1924م وتم طبعه بالجزائر وقال عمه الدكتور سعد الله:" وهو أول كتاب يطبع في موضوعه على ما نعرف وقد بدأه بديباجة مسجعة وطويلة"[2] أيضاً له "فصول في الإصلاح"،"أسلوب الحكيم في التعليم"،"الكلام في علم الكلام"، هذا وقد ألف الزواوي كتباً صغيرة الحجم تعالج قضايا مهمة لها علاقة بالأمة والمجتمع في تلك الحقبة مصححاً المفاهيم الخاطئة ومدافعاً عن معالم الشخصية الإسلامية، ومسانداً للإصلاح وداعياً لتطهير المعتقدات والسلوكات من الشوائب والبدع والخرافات."[3]

4- الخطابة عند أبي يعلى الزواوي:

اكتسبت الخطابة عند الشيخ الزواوي مكانة مرموقة، وأولاها اهتماماً كبيراً نظراً للتأثير الكبير الذي تحدثه في النفوس، وقد عاتب الخطباء في زمانه على الخطب التي كانوا يلقونها دون تجديد فيها، إذ كانت خطباً مرسومة الحدود تتمّ إعادتها، وقد جعل خطبه التي كتبها هي الميزان في ذلك، ويعترف بذلك أحمد توفيق المدني قائلا:" أخرج الخطب من صيغتها التقليدية العتيقة إلى صيغة قومية مفيدة، فهو يخطب للعامة ارتجالاً في مواضيع إسلامية محلية مفيدة، ويعتبر خطابه درساً بحيث لا ينتهي منه إلا وقد اعتقد أنّ كلّ من بمسجد سيدي رمضان من رجال ونسوة قد فهموا جيّد الفهم خطابه، وأشهد أنّه كان لتلك الخطب الأثر الفعّال في النّفوس."[4]

في هذا القول إخبار لما قام به أبو يعلى من تجديد في الخطابة بحيث انتقل بها من ذلك التقليد القديم إلى صياغتها وفق ما يحدث في المجتمع في شتى الميادين من تغيّرات واختلافات لتبيّين السبيل الأمثل الذي يجب اتّباعه، ونظرا لما كان يمتلكه من معرفة لعلوم اللغة وفقه للدّين الإسلامي كان تأثيره في السامعين أقوى.

ولقد انتصر الزّواوي للّغة العربية في الخطابة وميّز بين الخطب الاجتماعية والدينية والخطب السياسية، ولم يقبل أن تكون الخطابة المنبرية بغير العربية، واعتبر أنّ الخطابة بغيرها لغو من الكلام وقال بوجوب تجنّب رطانة ولهجات أهل المغرب والعجم واللّهجات المحلية والتغنّي والتصنّع وقال عن نفسه:" وقد طرحت بقدر الإمكان لهجة عجمتنا الزواوة وتغنّي حضر الجزائر المدينة راجياً أن يكون عملي من بين فرث ودم لبنا خالصا."[5] وتدور موضوعات

[1] المرجع السابق، ج6، ص325.
[2] المرجع نفسه، ج8، ص122
[3] المرجع نفسه، ج7، ص175.
[4] المرجع نفسه، ج8، ص 121، 122.
[5] خطب أبي يعلى الزواوي، ص 67.

الخطبة عنده حول الأمراض الاجتماعية والجهل وفساد التربية و التعليم والحاجة إلى الإصلاح بالإضافة إلى موضوعات تقليدية كالهجرة ومواقف السّلف، كما تطرّق إلى الوعظ والإرشاد وأحاديث عن الزكاة والصوم والحجّ والمنهج التعليمي وجوانب من المعاملات الأخرى.[1]

و يتحدّث قائلاً عن تجديده في الخطب:" هذا ولما منّ الله عليّ بتعييني إماماً و خطيباً بجامع سيدي رمضان بمدينة الجزائر، أردت تجديد طريقة السّلف في إلقاء الخطب والرّجوع إلى الأصل في ذلك، وإحياء ما هنالك، فالتزمت أن تكون الخطبة من إنشائي وكلامي حسب الأصول المعتبرة في ذلك، ولو لم يكن لي من الأهلية إلاّ إحياء تلك السنّة –وأيّ سنّة– لكفى، ورجاء أن أكون ممّن أرشد إلى تعليم، وهدى إلى صراط مستقيم، إذ الأصل في الخطبة أن تكون من إنشاء الخطيب وتلقى بدون ورقة، ولما أتممت سنة أردت تقييدها لكيلا يقال: نقلها عن الغير وحفظها وسرقها ليست من إنشائه، ولا من ملكته فنضحى كأن لم نعمل شيئا يذكر فيشكر، والحال أنّي لم أرد إلاّ الإصلاح ما استطعت..."[2]

لقد أراد أن يعود بالخطابة إلى أصلها بالتجديد في إنشائها وإلقائها، فأكّد على ضرورة أن تكون الخطبة من إنشاء الخطيب لا رجوعاً إلى الخطب المكتوبة والقديمة ونسخها ثم إلقائها على مسامع النّاس دون ارتجال، كما قام هو بإنشاء خطبه وكتبها بخط يده حتى يؤكّد للناس أنّها من ملكته وما جادت به قريحته فلا ينكر فضله، وحتى يتسنّى للخطباء من بعده انتهاج طريقته في الخطب متّبعين في ذلك كل ما يطرأ على المجتمع من الأحداث والوقائع. وسنقوم في المبحث الثاني من هذا الفصل إيراد بعض النماذج من خطبه وتحليلها.

المبحث الثاني: نماذج تطبيقية من خطبه مع التحليل

سنحاول في هذا المبحث إيراد بعض النماذج التطبيقية لبعض من خطب الإمام الزّواوي، والتي جمعها في كتابه "الخطب" وهي على شكل مختصرات، محللين إياها تحليلاً عاما من حيث الأسلوب الذي اتبعه في إلقائه لهذه الخطب واللغة التي كان يخاطب بها المسلمين في مسجد سيدي رمضان بالجزائر العاصمة، حتى نتبيّن الخصائص الفنية لها وما اشتملت عليه من معان مختلفة.

1– الخطبة الأولى: "في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[3]

الحمد لله الذي أمرنا أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، وجعل لنا كتابه حكماً عنده فلا نخطأ ما تمسكنا به ولا نعثر، وأخبرنا تعالى أنه يرضى لنا أن نشكر ولا يرضى لعباده الكفر، فكان ذلك نعمة من عنده كذلك

[1] ينظر، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص 125.
[2] خطب أبي يعلى، ص 47، 48.
[3] المصدر نفسه، ص 106– 108.

يجزي من شكر، ولقد أنذر بطشته كل من تعاطى فعقر ولقد جاءنا من الأنباء ما فيه مزدجر. والصلاة والسلام على سيد البشر الشفيع المشفع يوم المحشر، وعلى ءاله وصحبه العاملين بما أمر، المنتهين عما نهى عنه وزجر.

أما بعد: فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر جليل وخطير في الإسلام لا ينكر، وبه أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وما تركت أمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عمّهم الله بعذاب من عنده ليسوا منه بناجين، وقد جرى العمل بهذه الوظيفة مدة الخلافة العربية القرشية وسقطت بسقوطها بالمرة، وذهب المعروف وبقي المنكر فلا تفي خطبة خاطب ولا كتابة كاتب بما أصاب الأمة من هذه الطامة، وهذه الوظيفة هي المعروفة بالحسبة يتولاها العلماء الأعلام خيار الأمة بإيعاز من قضاة الشريعة ، فيزجرون العصاة ويجلدون البغاة ويدفعون العتاة ويوبخون القساة، ولكم تبدلت النعم بالنقم ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾[1] أرأيتم ما نحن فيه من البدع والمنكرات في جميع المشاريع والشوارع الأدبيات والماديات، ونمر عليها معرضين أينفعنا ذلك ونكون سالمين نعم قد نعجز عن تغييره ولكن لا نعجز عن تنكيره، ويوجد لكل رجل منا في بيته وداره ويقع في أهله وولده ، فإن زيارة النساء الكهانين والمنجمين والدجالين ونذورهن للصالحين، وإسناد الحوادث إليهم و التعلق بهم دون الله والإيمان بهم لا بالله، والخوف منهم أكثر من الله والعمل بالسحر و الطلسمات ونحو ذلك من الأباطيل والخرافات مما يحبط الأعمال والحسنات، وكذلك فحش الأولاد وتفحشهم وقحتهم وسبابهم وفسوقهم لما يسخط الله. ما عذر الرجل في أهله وولده إن كان له عذر في مثله ونده، أوليس الحكم في يده فكيف يكون جوابه لربه مما جاء في كتابه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[2]، لو يقوم الخضر وموسى كليم الله لطلق موسى نساءكم وحرمهن عليكم، ولقتل الخضر أولادكم كيلا يرهقوكم طغياناً وكفراً.

عباد الله كونوا إخواناً وتناهوا عن المنكر ، ولله عاقبة الأمر ولا تتبعوا سنن الذين من قبلكم شبراً بشبر، وهل سمعتم ما يتلى عليكم في كتابكم مما أنزل في مثل هذا الشأن في من قبلكم:﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾[3]

عباد الله اجعلوا أعمالكم من باب التخلية والتحلية ، فلا يليق التحلي بالفضائل دون التخلي عن الرذائل، كيف تصوفتم وما تفقهتم ؟! وكيف تعبدتم وما وحدتم ؟! وكيف أسلمتم وما سلمتم ؟!... فعلام

[1] سورة الشورى، الآية 30.

[2] سورة التحريم، الآية 06.

[3] سورة المائدة، الآية 78، 79.

أسّستم بنيانكم ؟ وعلام دعمتم قواعدكم ؟ وعلام أجريتم سفنكم ولا ماء لكم ولا ربان لدفة سفنكم ؟:﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾[1] ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[2].

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " عذب أهل قرية فيها ثمانية عشر ألفا ، عملهم عمل الأنبياء . قالوا يارسول الله، كيف؟ قال: لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر. "[3]

– تحليل نص الخطبة :

أ– المعنى العام: يدور موضوع الخطبة حول أمر عظيم في الإسلام فرضه الله على العباد، إذ يبين الخطيب مكانة هذا الأمر وجليل شأنه، وحذر من تركه ومن العذاب الذي يحل بالأمة إزاء ذلك، وذكّر بسقوط الخلافة العربية القرشية بسبب اندثار وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونوّه إلى ضرورة الابتعاد عـن البدع والمنكرات وبوجوب العمل على تغييرها، وضرب لذلك مثلا عن بني إسرائيل الذين لعنوا على لسان داوود وعيسى ابن مريم بسبب الاعتداء على الأعراض وعدم التناهي عن المنكر، وأمر بضرورة التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

ب– اللغة: جاءت لغة الخطبة فصيحة وبليغة، فلقد اتسمت بوضوح ألفاظها وفصاحتها المعجزة المستقاة من القرآن الكريم:(القساة، النعم، النقم، طغياناً وكفراً)، كما أتت الجمل والعبارات جلية بعيدة عن التكلّف المصطنع كقوله:" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر جليل لا ينكر، وبه أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وما تركت أمّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا عمّهم الله بعذاب من عنده ليسوا منه بناجين"

إنّ الطابع الذي اتسمت به هذه الخطبة هو الإيجاز من غير إخلال في المعنى، إذ يحس المتلقي أن الخطيب قد بنى أفكاره على منطق واضح.[4] فقد أتت جمل الخطبة متوسطة الحجم متتابعة النّسق والبناء، وهو في كل هذا لايترك الاستشهاد بالقرآن الكريم إذ يقول: ولكم تبدّلت النعم بالنقم، ويستشهد لذلك بآية، وقد امتازت لغته في هذه الخطبة بالسهولة والمباشرة والتسلسل،" فمن عناصر الجمال الأدبي في الكلام حسن تركيب الجمل، بتنظيم

---

[1] سورة البقرة، الآية 214.

[2] سورة الأحزاب، الآية 70، 71.

[3] طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السّبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ، ج6، ص 321.

[4] قراءة جديدة للنثر العربي القديم (من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي)، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2012م،ص26.

مفرداتها على وفق نسق متلائم لا تنافر فيه ولا تشاكس...وكذا انتقاء المفردات الجميلة التي تحمل أقوى وأحلى وأدقّ دلالة على المعنى المراد"[1] ويظهر هذا المكمن الجمالي جلياً في هذه الخطبة، فالألفاظ والجمل متلائمة متناسقة تؤدي الغرض المطلوب، والقرآن الكريم كله النموذج الأعلى لذلك، ثم روائع أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم كلام كبار الفصحاء والبلغاء.

ولقد صاغ الخطيب الجمل صياغة فنية سهلة الفهم، لا توقع فكر المخاطب في ارتباك في ربط مفردات الجمل ولا تكلّفه مشقة حتى يفهم المراد منها إذ يقول:" وقد جرى العمل بهذه الوظيفة مدة الخلافة العربية القرشية وسقطت بسقوطها بالمرة، وذهب المعروف وبقي المنكر، فلا تفي خطبة خاطب ولا كتابة كاتب."

ج- الأسلوب: هذه الخطبة نموذج رائع للخطبة الدينية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، اعتمد فيها الخطيب أسلوباً جذّاباً، واضحاً مشرقاً لأنه يريد أن يفهم الناس جميعاً فأنت لا تشعر بلفظ غريب ولا بمعنى مبهم، "فأسلوب النص لم يبتعد كثيراً عما يشترط عادة في الخطب من جزالة وإيقاع في التركيب"[2] بدأها بالحمد والثناء والصلاة على النبي الكريم، وهو اقتداء بسنة خير الخلائق أجمعين، ذكّر في مقدمتها بنعم الله على العباد وحذر من بطشه وسخطه. انتهج فيها أسلوباً خاصّاً وسرد أفكاره بطريقة فنيّة عبّر فيها عن كل ما يجول في ذهنه ويحاول الإفصاح عنه، فأتت العبارات منظّمة تنظيماً محكماً، انظر إلى قوله: "فيزجرون العصاة ويجلدون البغاة ويدفعون العتاة ويوبخون القساة" فهذا قول واف عن أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذين لا يقرّون منكراً وينتصرون للحق. إذ تحدث على ضرورة التمسّك بالكتاب المبين الذي لا ضلال بعده، وحذّر من خطورة هذا الأمر في الإسلام وضرورته لاستمرار الحياة والنجاة من عذاب الله مستدلّاً بحديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" عذّب أهل قرية... لم يكونوا يغضبون لله ولا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر." ونوّه إلى ضرورة الابتعاد عن البدع والمنكرات قائلا: " فإن زيارة النساء الكهانين و المنجّمين والدجّالين ... والخوف منهم أكثر من الله والعمل بالسّحر والطلسمات ونحو ذلك من الأباطيل والخرافات مما يحبط الأعمال والحسنات." ولقد بسط كل هذه الأفكار في أسلوب متين التزم فيه بقيم المجتمع وضوابطه، موضحاً الواقع الذي يعيشه والمشاكل التي تحل به. كما كان لاستعماله السّجع في الخطبة بعيد الأثر في تجميل الإيقاع الداخلي للنص

[1] البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار العلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط1، 1996م، ج1، ص106.

[2] قراءة جديدة للنثر العربي القديم، ص78.

(المنكر، نعر، الكفر، شكر، مزدجر، أمر) مما زاد الأسلوب رونقا وجمالاً، كما اعتمد الكاتب التكرار في بعض الألفاظ للتأكيد ولتقوية المعنى(فحش الأولاد وتفحشهم، خطبة خاطب، كتابة كاتب).

ولقد غلب على النص الأسلوب الخبري المناسب لتنبيه الناس إلى فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عدا بعض الأساليب الإنشائية كاستعمال الاستفهام الدّال على التوبيخ والإنكار في مثل قوله:(كيف تعبّدتم وما وحّدتم؟، فعلام أسّستم بنيانكم؟).

فالملاحِظ لأسلوب الكاتب يرى أنه كثير التأثّر بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ويتضح ذلك من خلال التناصّات التي تضمنتها الخطبة؛ كقوله:"فكان ذلك نعمة من عنده، كذلك نجزي من شكر" من قوله تعالى:﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِى مَن شَكَرَ﴾[1] فيعد هذا تضميناً، وكذلك قوله:" ولا تتبعوا سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر" من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لتتبعن سنن الذين من قبلكم شبرا بشبر"[2]. ومن المحسنات البديعية استعماله الطباق: (النعم النقم، التحلية التخلية، الفضائل الرذائل).

د- الخصائص الفنية: من بين الخصائص الفنية للخطبة مايلي:

- التناص مع القرآن الكريم والحديث الشريف.
- طغيان الأسلوب الخبري على نص الخطبة.
- التكرار غير المخل والذي يفيد التأكيد وتقوية المعنى.
- قلّة استعمال الصور البيانية.
- اعتماد السّجع بشكل كبير.
- اعتماد الترهيب والتوبيخ لوجوب التعلق بفعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- اعتماد الألفاظ البليغة الواضحة من غير تكلف وتصنع.

2- الخطبة الثانية: " في الإصلاح "[3]

إن الحمد لله الذي قال:﴿ أَنَّ ٱلۡأَرۡضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾[4] ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1] وجعلوا الدنيا مزرعة الآخرة هم لها عاملون، أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها

[1] سورة القمر، الآية 35.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ، 1999م، ج14، 81.

[3] خطب أبي يعلى، ص 109، 110.

[4] سورة الأنبياء، الآية 105.

سابقون، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة الذين هم بربهم لا يشركون، ويعملون بالثبات أعمال من ليسوا على أعقابهم ينكصون، وأشهد أن محمدا رسول الله جاء بالإصلاح العام لقوم يعلمون، صلى الله عليه وعلى آله و صحبه الذين يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة إنهم إلى ربهم راجعون.

أما بعد: فإن الإصلاح والاستجداد كان من أعمال الأجداد، الذين أورثهم الله الأرض والبلاد، وحرروا العباد من ربقة الاستعباد، إذ كانوا صالحين ولم يبغوا في الأرض الفساد، فمكنهم الله في الأرض فأقاموا الحدود بالعدل والسداد، ذلك بأنهم اتبعوا الرسول فهداهم سبيل الرشاد، وترك فيهم كتابا يتلى فيه:﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[2] ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[3].

عباد الله كيف تولولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد، اعلموا أن جميع شؤوننا الدنيوية و الدينية أيضا تحتاج إلى الإصلاح بما طرأ عليها من الفساد، وأن ديننا جاء بالإصلاح لما أفسده من قبلنا من العباد، وأن الرقي والإصلاح أمران ضروريان لا ينبغي فيهما العناد، أفلا نعتبر بمن معنا من الأمم ذوات التقدم والإسعاد؟! أيكفينا هذا أم نحتاج إلى الاستشهاد؟! لقد كدنا يصدق علينا ما صدق على بني إسرائيل من قبلنا كما قصّ ذلك علينا قرآننا:﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَـٰهُم بِٱلْحَسَنَـٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَـٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَـٰقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[4] ولقد ورد في الحديث :" إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون."[5]

– تحليل نصّ الخطبة:

---

[1] سورة المومنون، الآية 11.

[2] سورة الفجر، الآية 6- 14.

[3] سورة غافر، الآية 31.

[4] سورة الأعراف، 168، 169.

[5] صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت ودار الآفاق الجديدة، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النّار النّساء، ج8، ص 89.

أ- المعنى العام: موضوع الخطبة حول مسالة الإصلاح ووجوبه، والرجوع إلى الدرب الصحيح الذي رسمه القرآن العظيم، وبينته سنة خير المرسلين، وهذا من أجل الفوز بخيري الدنيا والآخرة. فالإصلاح واجب في كل الأمور التي طرأ عليها التغيير بعدما كانت على المنهاج السليم. وإذا أردنا التقدم في شتى مجالات الحياة لا يكون ذلك إلا الإصلاح حتى ننضم إلى موكب الأمم المتطورة من خلال نشره والدعوة إلى إتباعه والثبات على ذلك.

ب- اللغة: استعمل الخطيب ألفاظا سهلة موحية ملائمة للأفكار جزلة رصينة ومعجزة؛ أغلبها مفردات قرآنية لها أثرها الإعجازي في بناء النص وتركيبه ورسم حدوده من حسن انتقاء للمفردات وتخيّر المعاني التي تحمل دلالة أدق في تركيب الجمل، فالخطيب رغم استعماله السجع لم يقم بتكرير المفردات؛ معتمدا الثراء الدلالي للألفاظ في التوليد والاشتقاق والاقتباس من الآيات القرآنية:(سابقون، المفلحون، لا يشركون، يعلمون، راجعون)، ومع ذلك لا يستغني عن الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة مدللاً مقوياً للحجة الدامغة من سرد القَصَص المعجز عن الأمم السابقة، وقد جاءت جمل النص متوسطة الحجم متساوية مقاطعها تقريباً، وقد ألّف بينها وبين الآيات القرآنية ومزج بينها فأدّت المعنى والمقصد.

فالخطيب نوّع في استعمال أدوات الربط؛ كالواو والفاء والضمائر وحروف الجر:(وحرروا، فمكنهم، فهداهم، في الخيرات، من ربقة) وغيرها كثير، فكان لها دور في انسجام جمل النص وتناسقها ترابطها مما جعل منها كلا متكاملا.

ج- الأسلوب: أسلوب الخطيب أسلوب جزل متين سواء على مستوى التركيب والجمل أو النص ككل، اعتمد فيه السجع من أول الخطبة إلى آخرها، كتبها على هيئة الخطب الإصلاحية الرصينة وأساليب المصلحين الكبار.

افتتحها بالحمد والثناء وبعد كلمات يذكر آيتين حملتا عدة دلالات ورسمتا عنوان الخطبة بشكل عام، ثم يعرّج على الصلاة على النبي الكريم وآله وصحبه، ليبدأ بعد ذلك موضوعه بالإصلاح والاستجداد متقصّياً الجذور التاريخية لمفهومه عند السّلف ومدى تجسيدهم له ونتائجه على الفرد والمجتمع مؤكّداً على أنه السبيل الوحيد للرقي والسعادة."ومن عناصر الجمال الأدبي في الكلام البراعة في إبراز وتقدير الأحاسيس والمشاعر النفسية والأفكار"[1]

وهذا ما يبرز جليّاً في أسلوب الكاتب لبراعته في تقديم الفكرة، والمبالغة في تصوير آثارها، معتمداً الأسلوب الخبري لما له من تأثير في بناء النص، والملائم لبسط أفكار الموضوع.

[1] البلاغة العربية، ج1، ص94

وجاءت الخطبة قصيرة الحجم مختصرة المعنى ومجملة الأفكار تحتوي جزأين مقدمة ومضمون، تبرز كل ما يريد الخطيب أن يوصله من الوصايا للمستمعين؛ من تأكيد على ضرورة الإصلاح في مختلف الميادين بعد ما طرأ عليها من الفساد قائلاً:" اعلموا أن شؤوننا الدنيوية والدينية أيضا تحتاج إلى الإصلاح بما طرأ عليها من الفساد، وأن ديننا جاء بالإصلاح لما أفسده من قبلنا من العباد." وقد تجلت الصور البيانية والبلاغية في تلك النصوص القرآنية المعجزة وما تضمّنته من إعجاز وبيان وقصص فني متنوع معجز عن الأمم الغابرة وانسجامها مع الكلم والتراكيب، ومن أوجه البلاغة أيضا عند الخطيب الزواوي الإيجاز واللفظ القليل الدال على معان كثيرة . كما لا يمكن أن نغفل استشهاده بالأحاديث النبوية، مع خلو كلامه من أي استشهادات بالشعر العربي.

وبالرغم من أنّ الأسلوب الذي طغى على نصّ الخطبة هو الأسلوب الخبري، إلاّ أنّ الخطيب استعمل أيضاً الأسلوب الإنشائي، وخصوصاً في الجمل الاستفهامية التعجبية التي غرضها الإنكار والتوبيخ" أفلا نعتبر بمن معنا من الأمم ذوات التقدّم والإسعاد؟!" إنّما هو استفهام لتنبيه المستمعين من المسلمين، وجلب انتباههم، والتركيز على ما يصيب الأمّة من الخراب والدّمار. وقد طبع أسلوبه كثرة التناصات خصوصاً مع القرآن الكريم، وهو ما يؤكد تأثره به،كقوله:" أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون" وهو في الحقيقة تضمين لآية قرآنية، وجاء تكرار بعض الكلمات في النص لغرض التأكيد وتقوية المعنى مثل:(يصدق علينا ماصدق، يؤتون ما أتوا) " فالتكرار من الخصائص الواجب مراعاتها في الأعمال الأدبية ولا سيما التي تنشد الاستمرار والخلود"[1]

ويظهر في هذه الخطبة ذلك النغم الموسيقي الخاص بفن الخطابة بشكل جلي، إذ هي خفيفة على اللسان، سهلة التعلق بالأذهان، بانسجام الحروف والكلم، وتناسق الجمل والعبارات، رغم ما يعاب عليها إن صح التعبير من كثرة السجع.

د- الخصائص الفنية للخطبة:

- اعتماد السجع من أول الخطبة إلى آخرها.
- الإكثار من الاستشهاد بآي القرآن الكريم.
- كثرة التناص من القرآن الكريم.
- اعتماد الألفاظ الفصيحة الواضحة.
- اعتماد التكرار من أجل تمكين المعنى وتأكيده في نفس المتلقي.
- طغيان الأسلوب الخبري على النص.

[1] قراءة جديدة للنثر العربي القديم، ص115

- تأثّر أسلوب الكاتب بالقرآن الكريم؛ ويظهر هذا في تضمين كلامه العديد من أيه.

3 – الخطبة الثالثة: " في الاجتماع: الجماعة أو الجمعة أو الحج "[1]

الحمد لله الذي جمع أوائلنا على الهدى وكانوا ضالين، وجعلنا من ذريتهم وأهل ديانتهم فصرنا من المهتدين، وجمع شملنا المتفرق بفضل سيد المرسلين، وسنّ لنا الجماعة وافترض علينا الجمعة لنكون من المدنيين، ودعانا إلى الوقوف بعرفة ليتمّ علينا نعمته ويكمّل لنا الدين، ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2] وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾[3] وأشهد أن محمدا رسول الله بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح في الدين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا بمعيته ونزل في حقهم: ﴿ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[4]

أما بعد: فإن كل عربي بالخصوص وكلّ مسلم بالعموم يعلم إذا كان من أهل العلم كيف كان العرب وكيف كانت الأمم قبل الإسلام، أما العرب فكانوا على ما أخبرنا أصدق القائلين:﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا﴾[5] وبقوله في حق نبيه:﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[6] أي: كانوا متفرقين مختلفين متنابذين متعادين متخاذلين ومتحاربين لا دنيا ولا دين، فلا نظام ولا اجتماع ولا قوانين، ففريق منهم تحت الأكاسرة، وفريق منهم تحت القياصرة ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴾[7] ثم لما أرسل الله إليهم أخاهم محمدا صلى الله عليه وسلم جبر كسرهم، وكسر أصنامهم فآخى بينهم، ونظمهم بفضل الله وبرحمته ﴿ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡ ﴾[8] فجعلهم أمة خير الأمم ذات مدنية عالية، وذات أحكام ربّانية وذات أخلاق فاضلة، ولما كان الإنسان مدنيّا بالطبع، جاء محمد صلى الله عليه وسلم بما ليس فوقه مطمع، ولا بعده مرجع، فأسّس للإسلام خمسة

---

[1] خطب أبي يعلى، ص 79-81.

[2] سورة التوبة، الآية 03.

[3] سورة الجمعة، الآية 02.

[4] سورة آل عمران، الآية 138، 139.

[5] سورة آل عمران، الآية، 103.

[6] سورة الأنبياء، الآية 107.

[7] سورة البقرة، الآية 16.

[8] سورة الأنفال، الآية 63.

اجتماعات في اليوم، وافترض الجمعة اجتماعا إجباريا للمكلفين في كلّ قرية مرّة في الجمعة، وأسّس اجتماعا آخر لعموم المسلمين في عرفة جبل بمكة المكرمة. وهذه الاجتماعات ليست للصلاة والحج فقط، بل للنظر والتدبّر والتعارف والتعاون والمؤاخاة والتآلف، لا كما نفعل في زمننا هذا من اجتماعنا للصلاة دون الصّلات والتعارف دون التآلف بل للتعدي والتخالف، وليقال: حجّ واعتمر فلنعم الأمر، ولكنه حجّ واعتمر ولم يأتمر، وهكذا أضعنا سرّ الاجتماع، وجهلنا سبل الانتفاع، وفرّطنا في مدنية فاضلة، وتمسّكنا بمدنية سافلة، فأمسينا في ضلالة وسفاهة لتركنا العمل بالكتاب والسنّة. لقد همّ رسول الله أن يحرّق من تخلّف عن الجماعة والجمعة، وقال في الحج:" من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا " [1]

وفي حديث آخر عن أبي نجيح العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا، قال:" أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد فأطيعوه، فإنّه من يعش منكم فإنّه سيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرّاشدين المهديين من بعدي، عضّوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور فإنّ ذلك بدعة وكلّ بدعة ضلالة." [2]

– تحليل نصّ الخطبة:

أ– المعنى العام: مضمون هذه الخطبة يتحدّث عن فضل الجماعة بالمعنى الشّامل في التوحّد والتكاتف، لأنّ الإنسان اجتماعي بطبعه لا يمكنه العيش دون الآخرين وإلاّ هلك واندثر. فلولا ضرورة هذا الاجتماع لما أمر الله به وفرضه على المسلمين فهم يتلاقون في اليوم خمس مرّات بعدد الصلوات المفروضة، ويوم الجمعة، ووضع لهم يوما يجتمعون فيه، وهو يوم الحجّ الأكبر، من أجل التعارف والتعاون فيما يرضي الله وحسن إتباع نهجه؛ فجاءت هذه الخطبة منوّهة على ضرورة التمسّك بالجماعة وعدم التفرّق، وقد أشار الخطيب إلى ما كانت عليه العرب من التشتت والتمزّق حتى جاء دين الله فجعل منهم ملوكا وآخى بينهم ودخلوا في دين الله أفواجاً.

ب– اللغة: جاءت المفردات والتراكيب واضحة في أغلب الأحايين إن لم نقل كلّها، كما أنّ الجمل جاءت سهلة المعنى، مفهومة المغزى، يقوم السّامع بإدراكها دون عناء ويفهم منها ما يجب عليه من الأمور. كما استعمل الخطيب ألفاظا معجزة متمّمة المعنى على أكمل وجه، وزادت النّص تماسكا وحُسنا (جمع شملنا المتفرق، سن لنا الجماعة، لنكون من المدنيين).

[1] مصنّف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159-235هـ)، تحقيق: محمد عوامة، مطبعة دار السلفية الهندية القديمة، ج3، ص 752.

[2] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج28، ص 375.

وقد جاءت الجمل متوسّطة الحجم، يعتريها بعض الطول أحيانا، مناسبة والمقام الذي تتحدّث عنه، اعتمد فيها أدوات الربط إذ" يعد الربط بهذه الحروف في معظم الحالات قرينة لأمن اللبس في فهم الانفصال"[1]فهي تقوم بدور هام في فهم المقصود وتبليغ المعنى.

كما نجد أن معجم الكاتب اللغوي قرآني زاخر بألفاظ قرآنية معجزة، زادت النص تماسكاً وحبكاً، وأضفت عليه جمالية تتلاءم وخصيصات الموضوع، ودلت على الثراء اللغوي لدى الخطيب، إذ استعمل عديد الألفاظ الموحية دون تكرار:(كانوا متفرقين مختلفين متنابذين، متعادين متخاذلين ومتحاربين لا دنيا ولا دين).

ج – الأسلوب: اعتمد الخطيب في هذه الخطبة أسلوباً متيناً سهلاً ممتنعاً يؤدي الغرض المطلوب منه في سرد الأفكار، افتتح فيه خطبته بالحمد والثناء ثمّ صلى على النبي الكريم وعلى آله وصحبه الأخيار، واستعمل في ذلك الأسلوب الخبري معتمدا التفسير والتوضيح بالتوكيد:" إنّ كل عربي بالخصوص وكل مسلم بالعموم يعلم...كيف كان العرب وكيف كانت الأمم قبل الإسلام..." فبيّن ما كانت عليه الشعوب قبل ظهور الإسلام من التشرذم وما كان بينهم من بأس واقتتال، حتى أنّ العرب تحرّروا وصاروا ملوكاً على الآخرين. واستعمل التفسير أيضا في قوله:" ولما كان الإنسان مدنيّا بالطبع أي: يجتمع"،كما أضفت الآيات القرآنية الأسلوب طابعاً جماليّا؛ حيث استطاع توظيف الآيات والأحاديث وسط أسلوبه ومزجه بها مثل: " وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له " هو الذي أرسل رسوله بالهدى."

وقد رسم الخطبة أسلوب خبري تنوّع ما بين الطلبي و الإنكاري، مشحون ببعض العواطف وما آل إليه حال المسلمين من التنابذ والتخاذل والتحارب، ومن الأساليب الخبرية: غرض التحقير في قوله:" فريق منهم تحت القياصرة وفريق منهم تحت الأكاسرة"، وغرض التحذير والترهيب:" أن يحرّق. وقد طغى على الأسلوب سمة الوضوح والسهولة في الطرح مثل قوله:" فأسّس الإسلام خمسة اجتماعات في اليوم، وافترض الجمعة اجتماعاً إجباريّا...". وقد اتسم أسلوبه بكثرة السّجع، إذ استعمله من بداية الخطبة حتى نهايتها تقريباً أنظر مثلا قوله:" وهكذا أضعنا سرّ الاجتماع، وجهلنا سبل الانتفاع، وفرّطنا في مدنية فاضلة، وتمسّكنا بمدنية سافلة". وإن اعترى النص تكرار لبعض الألفاظ (كسرهم وكسر) إنّما زاد ذلك من التوكيد على منزلة الاجتماع، وما له من عظيم الأثر في المجتمع. كما وظف أدوات التنبيه مثل: (أما بعد، عباد الله) فقد أدت دور توجيه المتلقي نحوها في كل مرة ترد فيه، والنفي مثل:(لم يبغوا) والتي كانت دعامة لآرائه، وطبع أسلوب الخطبة عديد التناصات والاقتباسات من

[1] نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997م، ص200.

القرآن الكريم (فصرنا من المهتدين، ونظمهم بفضل الله وبرحمته)، وهو ما يبرز شدة تعلق الخطيب، وتأثره بالأسلوب الإعجازي للقرآن الكريم.

د- الخصائص الفنية للخطبة:

- استعماله ألفاظاً وتراكيب جلية .
- اعتماده أسلوباً خبرياً ملائماً لما يريد الإفصاح عنه.
- طغيان المحسنات البديعية وخاصة السجع.
- التناص مع القرآن الكريم.
- امتزاج أسلوبه مع القرآن الكريم.
- قلة استعمال الصور البيانية.
- اعتماده الوعظ والإصلاح والتحذير من الفساد.
- الإيجاز غير المخل.
- توظيف الأدوات المختلفة من تنبيه ونفي.
- الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

4- الخصائص الفنية لفن الخطابة عند أبي يعلى:

من خلال التحليل العام الذي أجريناه على تلك الخطب التي تقدّم ذكرها لأبي يعلى الزواوي يمكن أن نستخلص أهم الخصائص الفنية لفن الخطابة عنده:

- ينماز أسلوبه بطابع جمالي؛ ويتجلّى في حسن توظيف الآيات القرآنية، والأحاديث النبويّة مع إنشاءاته ودمجها بالألفاظ والتراكيب، ويتّضح جليّا شديد تأثّره بآي القرآن الكريم فأسلوبه مستمدّ منها.
- اعتماد الأسلوب الخبري بشكل لافت فهو المناسب للتعبير عمّا يريد الإفصاح عنه من أقوال ونصائح، وقلة استعمال الأسلوب الإنشائي إلاّ ما كان من بعض الجمل الاستفهامية.
- إكثار الاقتباس من القرآن الكريم، والاستدلال ببعض الأحاديث النّبوية مع تقديم الحجّة المقنعة والدّليل القاطع.
- خلوّ كلامه من الاستشهاد بالشّعر العربي قديمه وحديثه.
- أسلوبه واضح رصين ومعجز من خلال استعمال المفردات القرآنية المعجزة، وسرد قصص الأمم الغابرة؛ لأخذ العبرة منها وتنبيه الغافلين.

- استعمال الكلام القليل الدّال على معان متعدّدة بقصد الإدراك السّهل من المستمعين. مع خلوّ أسلوبه من التعقيد إلاّ ما جاء من السّجع متكلّفا.

- اعتماد الألفاظ السهلة الواضحة المستوحاة من القرآن العظيم والأحاديث النبويّة.

- قلة استعمال الصور البيانية.

- إثارة الشعور من خلال طرق لمواضيع تتماشى والوقائع التي تحدث في المجتمع، والتطوّرات الناتجة عن التغيّرات في شتى الميادين والقطاعات.

- الإكثار من استعمال السّجع الذي نراه مستعملاً في هذه الخطب من أوّلها وحتى نهايتها، والذي أضفى عليها رونقا خاصاً إذ أصبحت سهلة في النطق يسهل فهمها واستيعابها.

هذه أهم الخصائص الفنية التي توصلنا إليها من خلال التحليل الذي أجريناه على النماذج التي تمّ اختيارها، وسنقوم باستخلاص أهم النتائج المتوصّل إليها في هذا البحث في الخاتمة.

الخاتمة

بعد دراستنا للموضوع والغوص في حيثياته نلج إلى استخلاص أهمّ النّقاط :

– عرف فن الخطابة منذ قديم العصور، وقد كان لليونان والرّومان جهود تذكر في هذا الفنّ ومن ذلك أنّ الإلياذة لهوميروس قد حملت عديد الخطب.

– يعدّ فنّ الخطابة من أبرز الفنون النثرية عند العرب، والتي امتلكت مكانة عظيمة في حياة النّاس وتوجيههم إلى الأخلاق النبيلة، وقد مرّت فترة من الفترات قدّم فيها الخطيب على الشاعر فأصبح لسان حال القبيلة، وكان من أبرز الأسباب في ذلك تسارع الشعراء إلى أعراض النّاس.

– إنّ ظهور الاتّجاه الإصلاحي كان له شديد الأثر في تطوّر هذا الفنّ في الجزائر، كما كان لظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دور مهمّ في تطوير هذا الفنّ، وإرساء دعائمه على الوجه الصحيح، والعودة به إلى العهد القديم في اتّباع السّلف تماشيّا مع ما يحدث في المجتمع.

– جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فكرة تحوّلت إلى ذلك الغيث العميم من صفوة العلماء المثقفين. وكان من أسباب نشأتها تقهقر المجتمع وانتشار الأميّة والبدع والضلال.

– من بين الأهداف السّامية التي دعت إليها الجمعية محاربة الأميّة لمعرفتها بخطورة هذا الدّاء وانتشاره، وتعليم الدّين على طريقة السّلف الصّالح من السّابقين.

– أولت الجمعية فنّ الخطابة المكانة البارزة في دعوتها الإصلاحية في مختلف الميادين الثقافية والاجتماعية والسّياسية لأنّها تعمل على التبليغ المباشر وتؤدي الغرض.

–كان الهدف الأسمى للخطابة عند الجمعية هو الإرشاد وتوجيه الأمّة إلى الطريق السّويّ.

– أهتمّ علماء الجمعية بفنّ الخطابة أكثر من غيرهم لمعرفتهم بجليل قدرها وتأثيرها، والبلوغ بها إلى الهدف المنشود.

– اشتهر معظم خطباء الجمعية بخطبهم الإبداعية والتي تستهوي السّامعين وتجذب عقولهم وتحتوي أفكارهم، من منطلق معرفتهم بعلوم اللّغة، إذ كانت لغتهم فصيحة بليغة يعرفون مواضع الكلم ومواطن التأثير.

– لقد كانت اللغة العربيّة نقطة البداية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكانت تمثّل أهم قضية جاهدت وناضلت للمحافظة عليها.

– استطاعت الجمعية إحداث نهضة ثقافية واسعة، واستطاعت الوقوف في وجه التيّارات الفكرية والثقافية التغريبية الفرنسية.

–كان أبو يعلى الزّواوي من خطباء الجمعية الذين كتبوا خطبهم لأجل إصلاح المجتمع، وبناء الأمّة على النّهج الذي ارتضاه الله ورسوله صلى الله عليه وسلّم.

– شغل أبو يعلى الزّواوي عدّة مناصب منها رئاسته المؤقّتة للجمعية قبل أن يتمّ انتخاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيساً دائماً.

– نبذ الزّواوي طريقة تقديم الخطبة، وجدّد في ألقائها ارتجالاً ودون ورقة، وأن تكون مسايرة لقضايا العصر متتبّعة لها لتطويعها لدين الإسلام.

– امتازت خطب الزّواوي بفصاحة ألفاظها ووضوحها، وإعجازها النّابع من القرآن الكريم والسنّة النّبوية.

ويمكن القول أنّ هذا الموضوع يعدّ بحق من المواضيع الشاسعة والتي يستحسن دراستها من مختلف الوجهات، وأنّ البحث فيه مازال قائماً لأنّه يحتوي نقاطاً متعدّدة يمكن تقديم الجديد فيها من خلال ذلك التراث الأدبي الزاخر الذي خلّفه علماء الجمعية.

مسرد المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- البلاغة العربية (أسسها، وعلومها، وفنونها)، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار العلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط1، 1996م.

2- الأدب الجاهلي(قضاياه أغراضه أعلامه فنونه)، غازي طليمات وعرفان الأشقر، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط1،(1422هـ/2002م).

3- أدب المقاومة الوطنية في الجزائر(1830-1962)، عبد المالك مرتاض، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

4- الأعلام، خير الدين للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت،ط5، 1980م.

5- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله أحمد طالب الإبراهيمي (1929-1940م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997م.

6- آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف عمار طالبي، الشركة الجزائرية لصاحبها عبد القادر بوداود، الجزائر، ط1، (1388هـ/1968م).

7- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية(1931- 1956)ورؤساؤها الثلاثة، تركي رابح عمامرة، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،(1425هـ/2004م).

8- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، أحمد الخطيب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

9- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، عبد الكريم بوالصفصاف، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م.

10- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، عبد الكريم بوصفصاف، دار مداد، قسنطينة، ط2، 2009م.

11- الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930،أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي،بيروت،لبنان،ط4، 1992م.

12- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين بن علي بن عبد الكافي السّبكي، تحقيق: محمود محمد الطناحي، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1413هـ.

13- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت،ج1، (دط)، (1388 هـ/1968م).

14- مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، عبد الحميد بن باديس، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر،1982م.

15- موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، رابح خدوسي، دار النهضة، الجزائر، ط1، 2003م.

16- مصنّف ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي (159-235هـ)، تحقيق: محمد عوامة، مطبعة دار السلفية الهندية القديمة.
17- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،(دط)،(دت).
18- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، (1400هـ/1980م).
19- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1،(1425هـ/2004م) .
20- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط2، 1420هـ، 1999م
21- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925- 1954)النهضة الفكرية، النهضة الصحفية والأدبية، النهضة التاريخية، عبد المالك مرتاض، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1983م.
22- نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، محمد علي دبوز، المطبعة العربية، الجزائر، 1971م.
23- نفح الطيب في الخطابة والخطيب، معروف الرصافي، دار الأوقاف الإسلامية، ط1، (1336هـ/1917م).
24- النثر في العصر الجاهلي، هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1993م.
25- نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، مصر، ط1، 1997م.
26- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت ودار الآفاق الجديدة، (دط)، (دت).
27- صراع بين السنة والبدعة، أحمد حماني، دار البعث، قسنطينة، 1984م.
28- فن الإلقاء العربي(الخطابي والقضائي والتمثيلي)، فاروق سعد شركة الحلبي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط2 ، 1999م.
29- فن الكتابة والقول، محمد التنوخي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1 ،(1423هـ/2000م).
30- فن الخطابة وإعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام، دار النهضة للطباعة الإسلامية، مصر، (دط)،(دت).
31- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي الشيرازي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط3، (1301هـ).
32- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، محمّد زكي العشماوي، دار النهضة، بيروت، 1979م.
33- قراءة جديدة للنثر العربي القديم (من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي)، محمد مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2012م.
34- سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر،2008م.

35- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998م.
36- تاريخ الزواوة، أبو يعلى الزواوي، مراجعة: بوراي إسماعيل، مطبعة الديوان، الجزائر، 2008م.
37- تطور النثر الجزائري الحديث (1930- 1974م)، عبد الله ركيبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.
38- التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون،(دط)،2000م.
39- الثقافة العربية الجزائرية بين التأثير والتأثر، عبد المالك مرتاض، دار الحداثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.
40- الخطابة وإعداد الخطيب، عبد الجليل عبده شلبي، دار الشروق، القاهرة، ط2،(1407هـ/1986م).
41- خطب أبي يعلى الزواوي، بقلم أبي يعلى الزواوي، اعتنى بها: عادل بن الحاج همال الجزائري، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، (1429هـ/2008م).
42- الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925- 1975)، محمد ناصر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.

المجلات:

43- مجلة مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة العدد21، 1966م
44- الشهاب، عبد الحميد بن باديس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، (1421هـ/2001م).

الرسائل الجامعية:

45- الخطابة في النثر الجزائري الحديث موضوعاتها وخصائصها (1931/1954م)، إعداد: عيسى بن ساعد مدور، إشراف: عبد القادر دامخي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،(2004/2005م).

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ– ب
مدخل	3–10
الفصل الأول: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفن الخطابة	11– 28
المبحث الأول: ظهور الاتجاه الإصلاحي ونشأة الجمعية	12– 20
1– عوامل ظهور الحركة الإصلاحية في الجزائر	12– 14
2– نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين	14– 16
3– أهداف الجمعية	16– 17
4– خطباء الجمعية	17– 20
المبحث الثاني: علماء الجمعية وفن الخطابة	20– 28
1– مكانة الخطابة عند جمعية العلماء	20– 22
2– أهداف الخطابة عند جمعية العلماء	22– 24
3– أنواع الخطابة عند جمعية العلماء	24– 25
4– خصائص الخطابة عند جمعية العلماء	26– 28
الفصل الثاني: أبو يعلى الزواوي خطيباً	29– 47
المبحث الأول: ترجمة أبي يعلى	30– 35
1– مولده ونشأته	30– 31
2– شخصيته	31–32
3– أعماله ومؤلفاته	32– 34
4– الخطابة عند أبي يعلى	34–35
المبحث الثاني: نماذج تطبيقية لبعض خطبه مع التحليل	35–45
1– الخطبة الأولى: في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر	35–39
2– الخطبة الثانية: في الإصلاح	39–43
3– الخطبة الثالثة: في الجماعة	43– 46
4– الخصائص الفنية للخطابة عنده	46– 47
خاتمة	48–49
قائمة المصادر والمراجع	50– 52
الفهرس	53